مؤسسة ابن عباس العلمية
Ibn Abbas Scientific Foundation
سلسلة رسائل ابن عباس العلمية (٤٢)

زُبْدَةُ العِبَادَاتِ القَلْبِيَّةِ

كتبه
عُمَرُ بْنُ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بَاوَزِيرِ العَبَّاسِيُّ

زُبْدَةُ العِبَادَاتِ القَلْبِيَّةِ

عنوان الكتاب: زبدة العبادات القلبية

تأليـــف: عمر بن سالم بن عبدالله باوزير العبّاسي

مقـاس الكتـــاب: ١٧× ٢٤ سم

عـدد الصفحـات: (١١٥ صفحة)

الإخـراج الإلكتروني: عماد عوض باحشوان - جوال رقم: ٩٦٧٧٧٧٣٥٧٥٢٦+

الطبعـــة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

محفوظة جميع الحقوق

يُمنـع طبـع هـذا الكتـاب أو جـزء منـه بـكل طـرق الطبـع
والتصويـر والنقـل والترجمـة والتسـجيل المرئي والمسـموع
والحاسـوبي وغيرهـا من الحقـوق إلا بإذن خطي مـن المؤلف

زُبْدَةُ العِبَادَاتِ القَلْبِيَّةِ

كتبه

عُمَرُ بْنُ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بَاوَزِيرِ العَبَّاسِيُّ

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

الحَمْـدُ لِلَّهِ الوَاحِـدِ القَهَّارِ، العَزِيزِ الغَفَّارِ، مُكَوِّرِ اللَّيْـلِ عَلَى النَّهَارِ، تَذْكِرَةً لِأُولِي القُلُوبِ وَالأَبْصَارِ، وَتَبْصِرَةً لِذَوِي الأَلْبَابِ وَالاعْتِبَارِ، الَّذِي أَيْقَظَ مِنْ خَلْقِهِ مَنِ اصْطَفَاهُ فَزَهَّدَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَشَغَلَهُمْ بِمُرَاقَبَتِهِ وَإِدَامَةِ الأَفْكَارِ، وَمُلَازَمَةِ الِاتِّعَاظِ وَالِادِّكَارِ، وَوَفَّقَهُمْ لِلدَّأْبِ فِي طَاعَتِهِ، وَالتَّأَهُّبِ لِدَارِ القَرَارِ، وَالحَذَرِ مِمَّا يُسْخِطُهُ وَيُوجِبُ دَارَ البَوَارِ، وَالمُحَافَظَةِ عَلَى ذَلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الأَحْوَالِ وَالأَطْوَارِ.

أَحْمَدُهُ أَبْلَغَ حَمْدٍ وَأَزْكَاهُ، وَأَشْمَلَهُ وَأَنْمَاهُ.

وَأَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ البَرُّ الكَرِيمُ، الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُـولُهُ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، الهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَالدَّاعِي إِلَى دِينٍ قَوِيمٍ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَآلِ كُلٍّ، وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ.

أَمَّـا بَعْدُ: فَقَدْ قَـالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذَّاريَات:٥٦ - ٥٧] وَهَـذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقُوا لِلْعِبَـادَةِ، فَحَـقَّ عَلَيْهِمُ الِاعْتِنَـاءُ بِمَا خُلِقُوا لَـهُ وَالإِعْرَاضُ عَنْ حُظُـوظِ الدُّنْيَا بِالزَّهَادَةِ، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلُّ إِخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنْزِلُ حُبُورٍ، وَمَشْرَعُ انْفِصَامٍ لَا مَوْطِنُ دَوَامٍ.

فَلِهَذَا كَانَ الأَيْقَاظُ مِنْ أَهْلِهَا هُمُ العُبَّادَ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فِيهَا هُمُ الزُّهَّادُ.

قَـالَ اللهُ تَعَالَـى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ

نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [يُونس:٢٤]

وَالآيَاتُ فِي هَذَا المَعْنَى كَثِيرَةٌ.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ القَائِلُ:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطَنَا ... طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا ... أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا ... صَالِحَ الأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

فَإِذَا كَانَ حَالُهَا مَا وَصَفْتُهُ، وَحَالُنَا وَمَا خُلِقْنَا لَهُ مَا قَدَّمْتُهُ، فَحَقٌّ عَلَى المُكَلَّفِ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ مَذْهَبَ الأَخْيَارِ، وَيَسْلُكَ مَسْلَكَ أُولِي النُّهَى وَالأَبْصَارِ، وَيَتَأَهَّبَ لِمَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ، وَيَهْتَمَّ بِمَا نَبَّهْتُ عَلَيْهِ.

وَأَصْوَبُ طَرِيقٍ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَرْشَدُ مَا يَسْلُكُهُ مِنَ المَسَالِكِ: هُوَ العِنَايَةُ بِسَلَامَةِ القَلْبِ وَطَهَارَتِهِ وَصَفَائِهِ وَنَقَاوَتِهِ، مَطْلَبٌ رَبَّانِيٌّ، وَمَقْصُودٌ شَرْعِيٌّ، وَكُلَّمَا طَهُرَ قَلْبُ العَبْدِ كَانَ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ.. فَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ القَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ». قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ القَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ النَّقِيُّ التَّقِيُّ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ».

وَالإِسْـلَامُ لَمْ يَهْتَمَّ بِشَـيْءٍ فِي الإِنْسَـانِ بِقَدْرِ مَا اهْتَمَّ بِقَلْبِهِ، فَهَذِهِ المُضْغَةُ هِـيَ بَيْتُ الإِيمَانِ وَمَوْقِعُ الصِّدْقِ وَمَحَلُّ الإِخْلَاصِ، وَالقَلْبُ وَاللِّسَـانُ أَعْظَمُ مَا فِي الإِنْسَـانِ وَأَهَمُّ مَا فِيـهِ، وَكُلُّ أَعْمَالِ الإِيمَانِ مِنْ خَـوْفٍ وَرَجَاءٍ، وَتَوَكُّلٍ وَإِنَابَةٍ، وَإِخْبَاتٍ وَيَقِينٍ، وَصِدْقٍ وَمَحَبَّةٍ إِنَّمَا مَحَلُّهَا القَلْبُ.

وَقُبُـولُ الأَعْمَالِ وَتَفَاضُلُهَا إِنَّمَا هُوَ مُتَوَقِّـفٌ عَلَى مَا فِي القَلْبِ مِنْ صِدْقٍ وَإِخْـلَاصٍ وَمَعَانِي الإِيمَانِ، فَمَتَى فَرُغَ القَلْبُ مِنْهَـا فَعِنْدَ ذَلِكَ، لَا يُفِيدُ عَمَلٌ، وَلَا تُقْبَلُ طَاعَةٌ، وَلَا يَنْتَفِعُ عَبْدٌ بِعِبَادَةٍ.

وَسَـعْيًا لِإِصْلَاحِ قُلُوبِنَا، قُمْتُ بِجَمْعِ مَا تَيَسَّـرَ مِنْ أَعْمَالِ القُلُوبِ فِي هَذَا الكِتَابِ بِاخْتِصَارٍ، وَسَمَّيْتُهُ (زُبْدَةُ العِبَادَاتِ القَلْبِيَّةِ)، لِيَكُونَ عَوْنًا لِلْمُعَلِّمِينَ فِي تَرْبِيَةِ المُتَعَلِّمِينَ عَلَى تَهْذِيبِ قُلُوبِهِمْ وَإِصْلَاحِهَا.

وَأَسْـأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ الكَرِيمِ أَنْ يُبَارِكَ فِيهِ وَفِي سَـائِرِ أَعْمَالِي، وَأَنْ يَكْتُبَ لَهَا القَبُولَ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهَا وَوَالِدَيَّ وَأَهْلِي وَذُرِّيَّتِي وَكُلَّ مَنْ دَرَسَهُ وَدَرَّسَهُ فِي الدَّارَيْنِ.

كَتَبَهُ أَبُو الحَارِثِ

عُمَرُ بْنُ سَالِمِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ بَاوُزِيرِ العَبَّاسِيِّ

٦/١/١٤٤٧هـ- ١/٧/٢٠٢٥م

أَهَمِّيَّةُ العِنَايَةِ بِصَلَاحِ القَلْبِ

يُعَدُّ القَلْبُ بِمَثَابَةِ القَائِدِ وَالمُوَجِّهِ لِلإِنْسَانِ، فَلَا يَفْعَلُ الإِنْسَانُ جَمِيلًا وَلَا يَتْرُكُ قَبِيحًا إِلَّا وَيَكُونُ لِلْقَلْبِ التَّأْثِيرُ الأَكْبَرُ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ».

وَقَدْ شَبَّهَ بَعْضُ العُلَمَاءِ القَلْبَ بِالمَلِكِ الَّذِي يَأْمُرُ أَتْبَاعَهُ، وَالأَعْضَاءُ وَالجَوَارِحُ هِيَ الأَتْبَاعُ المُخْلِصَةُ الَّتِي تُنَفِّذُ مَا يَأْمُرُ بِهِ هَذَا المَلِكُ. فَإِذَا كَانَ المَلِكُ فَاسِدًا كَانَ أَتْبَاعُهُ فَاسِدِينَ مِثْلَهُ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ المَلِكُ صَالِحًا أَصْبَحَ الجُنُودُ صَالِحِينَ بِصَلَاحِهِ.

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ الأَعْمَالَ تَتَفَاوَتُ بِمِقْدَارِ مَا فِي القَلْبِ مِنْ مَحَبَّةٍ وَإِيمَانٍ وَتَعْظِيمٍ وَإِجْلَالٍ وَإِخْلَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى. وَلِذَلِكَ قَدْ تَكُونُ الأَعْمَالُ مُتَشَابِهَةً ظَاهِرِيًّا، وَلَكِنَّهَا تَتَفَاضَلُ تَفَاضُلًا عَظِيمًا.

وَقَدِ اعْتَنَى السَّلَفُ رضي الله عنهم بِأَعْمَالِ القُلُوبِ كَاعْتِنَائِهِمْ بِإِصْلَاحِ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَجَاهَدُوا أَنْفُسَهُمْ لِتَطْهِيرِهَا مِنَ الإِرَادَاتِ الفَاسِدَةِ وَالأَهْوَاءِ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ يَعْتَنِي بِصَلَاحِ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ.

وَأَمَّا المُنَافِقُونَ فَقَدِ اعْتَنَوْا بِالأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَمَا تَبِعَهَا مِنْ عَاجِلِ البُشْرَى، وَنَسُوا أَعْمَالَ القَلْبِ مِنْ إِخْلَاصِ القَصْدِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالرَّغْبَةِ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الجَزَاءِ، فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُمُ الخُسْرَانَ فِي الآخِرَةِ.

أَنْوَاعُ العِبَادَاتِ

شَرَعَ اللهُ تَعَالَى العِبَادَاتِ لِلنَّاسِ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ فِطْرَتِهِمْ، فَجَعَلَهَا مُتَنَوِّعَةً بِأَشْكَالٍ عِدَّةٍ:

النَّوْعُ الأَوَّلُ العِبَادَاتُ القَلْبِيَّةُ، وَهِيَ العِبَادَاتُ الَّتِي يَكُونُ مَحَلُّهَا القَلْبُ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي العِبَادَاتُ اللِّسَانِيَّةُ؛ كَنُطْقِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَالدُّعَاءِ، وَتِلَاوَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ بِاللِّسَانِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الحَقِّ، وَالتَّنَاصُحِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ.

وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ العِبَادَاتُ البَدَنِيَّةُ؛ وَيُقْصَدُ بِهَا كُلُّ عِبَادَةٍ تَقُومُ عَلَى جُهْدٍ بَدَنِيٍّ، كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالنَّحْرِ وَالنَّذْرِ وَالعُمْرَةِ وَالحَجِّ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى.

وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْوِيهُ إِلَيْهِ أَنَّ جَمِيعَ العِبَادَاتِ السَّابِقَ ذِكْرُهَا مِنَ النِّيَّاتِ وَالأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ فِي سَائِرِ الحَالَاتِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، فَلَا يُتَوَجَّهُ بِشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا إِلَيْهِ وَحْدَهُ جَلَّ وَعَلَا، فَلَا يُنْبَغِي بِهَا إِلَّا وَجْهُهُ.

العِبَادَاتُ القَلْبِيَّةُ

هِيَ العِبَادَاتُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِقَلْبِ الإِنْسَانِ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ كَالِاعْتِقَادِ وَغَيْرِهِ، فَهِيَ عِبَادَاتٌ تَنْبَعِثُ مِنَ القَلْبِ، وَتَنْعَكِسُ آثَارُهَا عَلَى الجَوَارِحِ غَالِبًا، إِلَّا أَنَّهَا تُنْسَبُ إِلَى القَلْبِ لِأَنَّهُ مُسْتَقَرُّهَا وَمَكَانُهَا، وَهِيَ نَاشِئَةٌ مِنْهُ.

القُلُوبُ تَتَقَلَّبُ

وَالقُلُوبُ شَدِيدَةُ التَّقَلُّبِ، عَظِيمَةُ التَّغَيُّرِ، كَثِيرَةُ التَّفَلُّتِ، فَهِيَ تَتَقَلَّبُ كَرِيشَةٍ فِي فَلَاةٍ، تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ. قَالَ ﷺ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا»(١).

وَقَدْ جَاءَ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَقُولُ إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلِّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ من أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كقلب وَاحِد يصرفهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اللهُ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»(٢).

وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وابن عاصم في السنة، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم.

دِينِـكَ»[1]، فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَى الإِكْثَارِ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ فِـي هَذِهِ الأَيَّامِ الَّتِي كَثُرَتْ فِيهَـا الفِتَـنُ، وَعَظُمَتْ فِيهَـا الِابْتِلَاءَاتُ وَأَسْـبَابُ العَطَبِ وَالمَهْلَـكَاتِ، الَّتِي يُصْبِحُ فِيهَا الإِنْسَـانُ كَافِرًا وَيُمْسِـي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِـي كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ !!

وَلِذَلِـكَ كَانَ عَلَيْنَـا إِخْضَاعُهَـا لِخَالِقِهَـا جَلَّ وَعَلَا، بِأَنْوَاعِ العِبَـادَاتِ القَلْبِيَّةِ المُهَذِّبَةِ وَالمُثَبِّتَةِ لَهُ عَلَى الحَقِّ.

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

الْإِخْلَاصُ

إِنَّ إِخْـلَاصَ الْعَمَـلِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَعْظَمِ أُصُولِ هَـذَا الدِّينِ، وَهُوَ لُبُّ الْعِبَـادَةِ وَرُوحُهَا، وَأَسَـاسُ قَبُولِ الْأَعْمَـالِ وَرَدِّهَا، وَهُوَ أَهَمُّ أَعْمَـالِ الْقُلُوبِ وَأَعْلَاهَـا، وَهُـوَ مِفْتَاحُ دَعْوَةِ الرُّسُـلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فِيهِ رِضَا الرَّحْمَـنِ وَرَاحَةُ الْقُلُوبِ وَنَجَاةُ النُّفُوسِ، وَهُوَ رُكْنُ الْعَمَلِ وَأَسَاسُهُ.

وَيُعَـدُّ الْإِخْلَاصُ مِنْ أَهَمِّ أَعْمَـالِ الْقُلُوبِ، وَأَعْظَمِهَا قَدْرًا وَشَـأْنًا، وَهَذَا الدِّيـنُ كُلُّـهُ يَقُومُ عَلَى الْإِخْـلَاصِ، كَمَا قَالَ تَعَالَـى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البَيِّنَة:٥]، وَقَـالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزُّمَر:٣].

لِذَلِكَ كُلِّهِ كَانَ الْأَجْدَرُ أَنْ تَكُونَ الْبِدَايَةُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْإِخْلَاصِ.

وَإِنَّ تَحْقِيقَ الْإِخْلَاصِ مَهَمٌّ جِدًّا لِلْمُسْـلِمِ؛ لِأَنَّ أَغْلَبَ النَّاسِ يَعِيشُونَ فِي صِرَاعَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ وَيُعَانُونَ مِنْ أَشْيَاءَ، فَحُرِمُوا الْبَرَكَةَ وَالتَّوْفِيقَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ النَّصْرُ وَتَعَلُّمُ الْعِلْمِ إِلَّا مِنَ الْمُخْلِصِينَ؟

فَالْإِخْلَاصُ مَهَمٌّ فِي إِنْقَاذِنَا مِنَ الْوَضْعِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ، فَقَدْ أَصْبَحَ عَزِيزًا نَادِرًا قَلِيلًا، فَهُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَشَارِيعِ الْمُهِمَّةِ وَالدَّعَوَاتِ تَلَوَّثَتْ بِالرِّيَاءِ، فَضْلًا عَـنْ حَرَكَاتٍ إِسْـلَامِيَّةٍ دُمِّرَتْ بِسَـبَبِ افْتِقَادِ الْإِخْـلَاصِ، إِذْ أُرِيدَ بِهَا الرِّئَاسَـةُ

وَالْجَاهُ وَالْمَالُ.

وَلَوْ فَتَّشْنَا عَنْ أَعْظَمِ أَمْرَاضِنَا الِاجْتِمَاعِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ لَوَجَدْنَاهَا: عَدَمَ إِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَطَلَبَ رِضَا النَّاسِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ.

فَهَا هِيَ كَثِيرٌ مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ مِنْ صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَزِيَارَةِ الْمَرِيضِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْجِيرَانِ، وَغَيْرِهَا صَارَتْ تُؤَدَّى لِلنَّاسِ، وَصَارَ يُطْلَبُ بِالزِّيَارَةِ وَالْإِطْعَامِ وَالْإِحْسَانِ رِضَا النَّاسِ، دُونَ التَّمَاسِ الْأَجْرِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ. فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ يُعَزِّي فِي وَفَاةِ جَارٍ أَوْ صَدِيقٍ أَوْ قَرِيبٍ، وَرُبَّمَا يَقْطَعُ الْمَسَافَاتِ طَلَبًا لِرِضَا أَوْ رُؤْيَةِ النَّاسِ، وَرُبَّمَا يُنْفِقُ فِي الْإِطْعَامِ وَالِاتِّصَالِ وَالْهَدَايَا وَزِيَارَةِ الْمَرِيضِ، طَلَبًا لِرِضَا النَّاسِ... وَهَكَذَا.

تَعْرِيفُ الْإِخْلَاصِ

فِي اللُّغَةِ: هُوَ جَعْلُ الشَّيْءِ خَالِصًا لَمْ يُخْلَطْ مَعَهُ غَيْرُهُ.

وَفِي الِاصْطِلَاحِ: قَالَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: «الْإِخْلَاصُ أَنْ يَفْعَلَ الْمُكَلَّفُ الطَّاعَةَ خَالِصَةً لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا يُرِيدُ بِهَا تَعْظِيمًا مِنَ النَّاسِ وَلَا تَوْقِيرًا، وَلَا جَلْبَ نَفْعٍ دِينِيٍّ، وَلَا دَفْعَ ضَرَرٍ دُنْيَوِيٍّ.

وَيَتَحَقَّقُ هَذَا بِإِرَادَةِ وَجْهِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعَمَلِ، وَتَصْفِيَتِهِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ذَاتِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ، فَلَا يَنْبَعِثُ لِلْعَمَلِ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَلَا يُمَازِجُ عَمَلَهُ مَا يُشُوبُهُ مِنَ الرَّغَبَاتِ الْعَاجِلَةِ لِلنَّفْسِ، الظَّاهِرَةِ أَوِ الْخَفِيَّةِ، مِنْ إِرَادَةِ

مَغْنَمٍ، أَوْ شَـهْوَةٍ، أَوْ مَنْصِبٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ شُـهْرَةٍ، أَوْ مَنْزِلَةٍ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، أَوْ طَلَـبِ مَدْحِهِمْ، أَوِ الْهَرَبِ مِنْ ذَمِّهِمْ، أَوْ إِرْضَـاءِ لِعَامَّةٍ، أَوْ مُجَامَلَةِ لِخَاصَّةٍ، أَوْ شِفَاءٍ لِحِقْدٍ كَامِنٍ، أَوِ اسْتِجَابَةٍ لِحَسَدٍ خَفِيٍّ، أَوْ لِكِبْرٍ مُسْتَكِنٍّ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَهْوَاءِ وَالشَّـوَائِبِ، الَّتِي عُقْدُ مُتَفَرِّقَاتِهَا هُوَ: إِرَادَةُ مَا سِـوَى اللهِ تَعَالَى بِالْعَمَلِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَكَائِنًا مَا كَانَ.

مَنْزِلَةُ الْإِخْلَاصِ وَأَهَمِّيَّتُهُ

١) وُجُـوبُ إِخْـلَاصِ النِّيَّةِ لِلَّـهِ فِي أَيِّ عَمَـلٍ يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ؛ قَـالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الْبَيِّنَة: ٥]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَـا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّـاتِ»(١). وَقَالَ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّـرَكَاءِ عَنِ الشِّـرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْـرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٢)، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، هُوَ لِلَّذِي عَمِلَهُ»(٣).

٢) أَنَّهُ أَحَدُ شَـرْطَيْ قَبُولِ الْعَمَلِ، وَهُمَا: الْإِخْلَاصُ وَالْمُتَابَعَةُ، وَبِهِمَا يَتَحَصَّنُ الْمُسْـلِمُ مِنْ أَلَدِّ أَعْدَائِهِ أَلَا وَهُوَ الرِّيَاءُ وَالْبِدْعَةُ وَالشِّـرْكُ. قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنَفِـيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فَهُمَـا تَوْحِيـدَانِ، لَا نَجَاةَ لِلْعَبْـدِ مِنْ عَـذَابِ اللهِ إِلَّا بِهِمَا: تَوْحِيدُ الْمُرْسِلِ، وَتَوْحِيدُ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ».

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) في مسلم.

وَقَدْ بَيَّنَ ﷺ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي نِيَّتِهِ وَقَصْدِهِ لِلَّهِ وَلِغَيْرِهِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ هَذَا الْعَمَلَ حَتَّى لَوْ كَانَ عَظِيمًا. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ». فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(٢).

قَالَ الْأَمِيرُ الصَّنْعَانِيُّ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ فِعْلُكَ خَالِصًا ... فَكُلُّ بِنَاءٍ قَدْ بَنَيْتَ خَرَابُ

فَلِلْعَمَلِ الْإِخْلَاصُ شَرْطٌ إِذَا أَتَى ... وَقَدْ وَافَقَتْهُ سُنَّةٌ وَكِتَابُ

مِنْ عَلَامَاتِ الْإِخْلَاصِ

۞ أَنْ يَبْتَغِيَ الْمُسْلِمُ الْأَجْرَ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ. فَلَا يَبْحَثُ عَنْ شُهْرَةٍ، وَلَا مَكَانَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، وَلَا زَعَامَةٍ، وَلَا ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ. قَالَ تَعَالَى عَلَى

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه النسائي، وصححه الألباني.

لِسَانِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:١٠٩]. وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ انْتَفَعُوا بِهَذَا الْعِلْمِ، وَمَا نُسِبَ إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ».

وَكَانَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَحْمِلُ الْخُبْزَ بِاللَّيْلِ عَلَى ظَهْرِهِ، يَتْبَعُ بِهِ الْمَسَاكِينَ فِي الظُّلْمَةِ، وَيَقُولُ: «الصَّدَقَةُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ». وَكَانَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَعِيشُونَ لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ مَعَاشُهُمْ؟ فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَدُوا مَا كَانُوا يُؤْتَوْنَ بِهِ فِي اللَّيْلِ، وَرَأَوْا عَلَى ظَهْرِهِ آثَارًا مِمَّا كَانَ يَنْقُلُهُ مِنْ جُرْبِ الدَّقِيقِ بِاللَّيْلِ، وَقَدْ كَانَ يُعِيلُ مِائَةَ بَيْتٍ!!

۞ أَنْ يَكُونَ عَمَلُ السِّرِّ عِنْدَهُ أَفْضَلَ مِنَ الْعَلَانِيَةِ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَحَدِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»(١)، فَلَمَّا أَخْفَى صَدَقَتَهُ وَأَخْلَصَ فِيهَا لِلَّهِ تَعَالَى، رَفَعَ اللهُ قَدْرَهُ وَأَظَلَّهُ فِي ظِلِّهِ.

۞ إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ، وَاتِّهَامُهَا بِالتَّقْصِيرِ، فَالْمُخْلِصُ مِنَ الْعِبَادِ مَنْ يَأْتِي بِجَمِيعِ الْعِبَادَاتِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ خَائِفٌ أَنْ لَا يَتَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ عَمَلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠].

---

(١) متفق عليه.

۞ اسْـتِوَاءُ الْمَـدْحِ وَالذَّمِّ. فَالْمُخْلِـصُ يَقُومُ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ عَلَـى مَا يُرْضِي اللهَ تَعَالَى، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يُبَالِي أَرَضِيَ النَّاسُ أَمْ سَخِطُوا، مَدَحُوا أَمْ ذَمُّوا. وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ فِي الرَّجُلِ يُمْدَحُ فِي وَجْهِهِ: «التَّوْبَةُ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ».

مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِخْلَاصِ

١- قَبُولُ الْعَمَلِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(١).

٢- حُصُولُ الْأَجْرِ وَمُضَاعَفَتُهُ، قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ ﷻ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»(٢).

قَـالَ ابْـنُ الْمُبَـارَكِ: (رُبَّ عَمَـلٍ صَغِيرٍ تُكْثِـرُهُ النِّيَّـةُ، وَرُبَّ عَمَـلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ).

وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ الْيَامِيُّ: (إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَكُونَ لِي نِيَّةٌ فِي كُلِّ شَـيْءٍ؛ حَتَّى فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ).

٣- إِدْرَاكُ الْعَمَـلِ وَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ، عَنْ أَنَسِ بْـنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ ﷺ: «إِنَّ

---

(١) أخرجه النسائي، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.

أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»[1]، وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلاَّ شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ».

٤- النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [اللَّيل:١٧ - ٢١].

٥- تَفْرِيجُ الْكُرُبَاتِ وَإِزَاحَةُ الْغُمُومِ، كَمَا فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الَّذِينَ تَوَسَّلُوا إِلَى اللهِ بِإِخْلَاصِهِمْ، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ.

٦- سَكِينَةُ النَّفْسِ وَاطْمِئْنَانُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»[2].

مِنْ عَوَاقِبِ تَرْكِ الْإِخْلَاصِ

١. دُخُولُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٢. عَدَمُ قَبُولِ الْعَمَلِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي، وصححه الألباني.

رُكْبَتِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَهُمْ مَنْ جَاهَدَ أَوْ تَعَلَّمَ وَعَلَّمَ وَأَنْفَقَ مَالَهُ رِيَاءً وَسُمْعَةً.

مِمَّا يَجْدُرُ اَلْتَنْبهُ عَلَيْهِ:

١- أَنَّ ثَنَاءَ النَّاسِ وَمَدْحَهُمْ لَا يُذَمُّ بِإِطْلَاقٍ وَلَا يُحْمَدُ بِإِطْلَاقٍ، فَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ الْفَرَحَ بِكَوْنِهِ عَلَامَةَ قَبُولِ اللهِ فَهُوَ مَحْمُودٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ الْمَدْحَ لِذَاتِهِ فَهُوَ مَذْمُومٌ.

٢- أَنَّ إِظْهَارَ الْعَمَلِ وَإِخْفَاؤَهُ لَهُ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ: مِنْهَا مَا يُسَنُّ إِخْفَاؤُهُ كَالْخُشُوعِ، وَمِنْهَا مَا يُسَنُّ إِظْهَارُهُ كَالْجُمُعَةِ، وَمِنْهَا مَا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ، فَيُخْفِيهِ مَنْ يَخْشَى الرِّيَاءَ، وَيُظْهِرُهُ مَنْ يُرِيدُ الْقُدْوَةَ.

٣- فِعْلُ الطَّاعَةِ لِحُصُولِ ثَمَرَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ، إِنْ كَانَ الْقَصْدُ الدُّنْيَا فَقَطْ فَلَا أَجْرَ، وَإِنْ كَانَ الْقَصْدُ الْأَجْرَ مَعَ حُصُولِ الثَّمَرَةِ فَلَا بَأْسَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْبَاعِثِ.

التَّقْوَى

التَّقْوَى هِيَ أَسَاسُ الْإِيمَانِ، وَخُلَاصَةُ الْعِبَادَةِ، وَبِهَا يَتِمُّ الْوُصُولُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَيَنْجُو بِهَا الْمُؤْمِنُ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ، وَهِيَ خَيْرُ زَادِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البَقَرَة:١٩٧]، وَهِيَ مِيزَانُ التَّفَاضُلِ بَيْنَ النَّاسِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجُرَات:١٣]، وَهِيَ الْأَنِيسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالْمُنْجِيَةُ مِنَ النِّقْمَةِ، وَالْمُوصِلَةُ لِلْجَنَّةِ.

وَلِأَجْلِ شَرَفِهَا وَفَضْلِهَا فَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالتَّعَاوُنِ مِنْ أَجْلِهَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المَائدة:٢]؛ لِأَنَّهَا الْمُوصِلَةُ لِمَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى.

وَتَقْوَى اللهِ هِيَ أَنْ يَلْتَزِمَ الْعَبْدُ بِأَوَامِرِ اللهِ وَيَنْتَهِيَ عَمَّا نَهَانَا عَنْهُ، وَهُوَ أَنْ يُكْثِرَ الْعَبْدُ مِنَ الطَّاعَاتِ وَيَجْتَنِبَ الْمَعَاصِيَ.

وَقَدْ يَغْلِبُ اسْتِعْمَالُ التَّقْوَى عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، كَمَا قَالَ أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جَوَابِهِ لَمَّا سُئِلَ عَنِ التَّقْوَى: «هَلْ أَخَذْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكَيْفَ صَنَعْتَ؟» قَالَ: إِذَا رَأَيْتُ الشَّوْكَ عَزَلْتُ عَنْهُ أَوْ جَاوَزْتُهُ أَوْ قَصُرْتُ عَنْهُ، قَالَ: «ذَاكَ التَّقْوَى».

تَعْرِيفُ التَّقْوَى

فِي اللُّغَةِ: هِيَ الْوِقَايَةُ.

وَفِي الِاصْطِلَاحِ: هِيَ كَمَا قَالَ عَنْهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ».

فَلَا يَرَاكَ اللهُ تَعَالَى حَيْثُ نَهَاكَ، وَلَا يَفْتَقِدُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ! فَإِذَا نَهَاكَ أَنْ تَجْلِسَ فِي مَجَالِسَ يُكْفَرُ فِيهَا بِآيَاتِ اللهِ وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا يَجِدُكَ هُنَاكَ، وَإِذَا أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ فَلَا يَفْتَقِدُكَ هُنَاكَ، كَمَا قَالَ النَّاظِمُ:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التُّقَى
كُنْ فَوْقَ مَاشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ التَّقْوَى؟ فَقَالَ: «هَلْ أَخَذْتَ يَوْمًا طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا عَمِلْتَ فِيهِ؟»، قَالَ: تَشَمَّرْتُ وَحَذِرْتُ، قَالَ: «فَذَاكَ التَّقْوَى».

مَنْزِلَةُ التَّقْوَى وَأَهَمِّيَّتُهَا

لَقَدْ حَفِلَ الْقُرْآنُ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِهِ بِذِكْرِ التَّقْوَى، وَالْأَمْرِ بِهَا، وَبَيَانِ ثَمَرَاتِهَا، وَالطَّرِيقِ الْمُوصِلِ إِلَيْهَا.

وَلِعَظَـمِ شَـأْنِ التَّقْوَى فِي الْإِسْـلَامِ، كَانَ النَّبِـيُّ ﷺ يَفْتَتِحُ خُطَبَـهُ بِبَعْضِ الْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى.

وَسَارَ الْخُطَبَاءُ وَالْوُعَّاظُ عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ، إِذْ قَلَّمَا تَخْلُو خُطْبَةٌ أَوْ مَوْعِظَةٌ مِـنَ الْوَعْـظِ بِالتَّقْوَى، وَالْحَثِّ عَلَى التَّحَلِّي بِهَا، وَهَذَا يَدُلُّ - بِلَا شَـكٍّ - عَلَى أَهَمِّيَّةِ التَّقْوَى فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ.

وَمِـنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَمَـرَتْ بِالتَّقْوَى وَرَغَّبَتْ فِيهَـا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمران:١٠٢]، وَقَوْلُـهُ تَعَالَـى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزَاب:٧٠]. وَقَوْلُـهُ تَعَالَـى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبَة:١١٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَـى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحَشر:١٨]، بَلْ إِنَّ اللهَ سُـبْحَانَهُ جَعَلَ التَّقْوَى شَرْطًا فِي حُصُولِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المَائدة:٥٧].

وَالتَّقْوَى هِيَ وَصِيَّةُ اللهِ تَعَالَى لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النِّسَاء:١٣١].

وَلِأَهَمِّيَّـةِ التَّقْوَى أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِهَا، فَقَالَ سُـبْحَانَهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَۚ﴾ [الأحزَاب:١].

وَجَعَلَ اللهُ التَّقْوَى مِنْ خَيْرِ مَا يَتَزَوَّدُ بِهِ الْإِنْسَانُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ

فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البَقَرَة:١٩٧].

وَذَمَّ سُبْحَانَهُ الْمُتكَبِّرِينَ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ النُّصْحَ بِالتَّحَلِّي بِالتَّقْوَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البَقَرَة:٢٠٦].

وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ التَّفَاضُلَ بَيْنَ النَّاسِ بِمِيزَانِ التَّقْوَى، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحُجُرَات:١٣].

مَرَاتِبُ التَّقْوَى

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّقْوَى ثَلَاثُ مَرَاتِبَ:

* الْأُولَى: حِمَايَةُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ وَالْمُحَرَّمَاتِ.
* الثَّانِيَةُ: حِمَايَتُهُمَا عَنِ الْمَكْرُوهَاتِ.
* الثَّالِثَةُ: الْحِمَايَةُ عَنِ الْفُضُولِ وَمَا لَا يَعْنِي.

فَالْأُولَى: تُعْطِي الْعَبْدَ حَيَاتَهُ، وَالثَّانِيَةُ: تُفِيدُ صِحَّتَهُ وَقُوَّتَهُ، وَالثَّالِثَةُ: تَكْسِبُهُ سُرُورَهُ وَفَرَحَهُ وَبَهْجَتَهُ».

وَسَائِلُ تَحْصِيلِ التَّقْوَى

يُمْكِنُ تَقْسِيمُ التَّقْوَى إِلَى قِسْمَيْنِ:

١ - التَّقْوَى الْوَاجِبَةُ: فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ إِلَّا بِفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ

وَالشُّبُهَاتِ.

وَأَعْظَمُ الْوَاجِبَاتِ: الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَأَعْظَمُ الْمُحَرَّمَاتِ: الشِّرْكُ بِاللهِ وَالْكُفْرُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البَقَرَة:١ - ٤].

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «يُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟ فَيَقُومُونَ فِي كَنَفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ، لَا يَحْتَجِبُ مِنْهُمْ، وَلَا يَسْتَتِرُ، قَالُوا لَهُ: مَنِ الْمُتَّقُونَ؟ قَالَ: قَوْمٌ اتَّقَوُا الشِّرْكَ وَعِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ بِالْعِبَادَةِ».

وَقَالَ الْحَسَنُ: «الْمُتَّقُونَ اتَّقَوْا مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَأَدَّوْا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «لَيْسَ تَقْوَى اللهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَلَا بِقِيَامِ اللَّيْلِ وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ تَقْوَى اللهِ: تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا، فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ».

٢- التَّقْوَى الْمُسْتَحَبَّةُ: فَهِيَ تَكُونُ بِفِعْلِ الْمَنْدُوبَاتِ وَتَرْكِ الْمَكْرُوهَاتِ، وَرُبَّمَا بَالَغَ الْمُتَّقِي فِي التَّنَزُّهِ عَنْ بَعْضِ مَا هُوَ حَلَالٌ خَشْيَةَ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ.

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَمَامُ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ الْعَبْدُ، حَتَّى يَتَّقِيَهُ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، وَحَتَّى يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ حَلَالٌ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ».

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: «إِنَّمَا سُمُّوا مُتَّقِينَ لِأَنَّهُمُ اتَّقَوْا مَا لَا يُتَّقَى».

الْأَسْبَابُ الْبَاعِثَةُ عَلَى التَّقْوَى

١) طَلَبُ التَّقْوَى مِنَ اللهِ، فَيُكْثِرُ مِنْ دُعَاءِ: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا».

٢) الْعَمَلُ عَلَى إِصْلَاحِ قَلْبِهِ، قَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِاللهِ: «فَوَاتِحُ التَّقْوَى حُسْنُ النِّيَّةِ».

٣) الْعَمَلُ عَلَى إِصْلَاحِ الظَّاهِرِ، وَذَلِكَ بِمُوَافَقَةِ سُنَّةِ وَهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ.

٤) الْإِكْثَارُ مِنَ الْعِبَادَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البَقَرَة:٢١].

٥) الْجِدِّيَّةُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ شَرْعِ اللهِ تَعَالَى، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة:٦٣].

٦) الصِّيَامُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة:١٨٣].

٧) الْعَدْلُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المَائدة:٨].

٨) تَعْظِيمُ الرَّسُولِ ﷺ وَتَوْقِيرُهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحُجُرَات: ٣]، وَذَلِكَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ﷺ، وَيَكُونُ بِعَدَمِ رَفْعِ الْصَّوْتِ عِنْدَهُ، بِاحْتِرَامِ سُنَّتِهِ، وَانْتِهَاجِ طَرِيقَتِهِ، وَعَدَمِ مُجَاوَزَةِ هَدْيِهِ ﷺ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ زَبَالَاتِ الْأَذْهَانِ وَنُخَالَاتِ الْأَفْكَارِ وَالْمَذَاهِبِ وَالْآرَاءِ.

ثَمَرَاتُ التَّقْوَى

بَشَّرَ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ فِي كِتَابِهِ بِبَشَارَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَجَعَلَ لِلتَّقْوَى ثَمَرَاتٍ وَفَوَائِدَ جَلِيلَةً، فَمِنْ ذَلِكَ:

١- الْبُشْرَى بِمَا يُسِرُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يُونس: ٦٣ - ٦٤].

٢- الْبُشْرَى بِالْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النَّحل: ١٢٨].

٣- التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢].

٤- الْهُدَايَةُ لِلصَّوَابِ وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفَال: ٢٩].

٥- الْبُشْرَى بِتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَتَعْظِيمِ أَجْرِ الْمُتَّقِينَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ

يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطَّلَاق:٥].

٦- الْيُسْرُ وَالسُّهُولَةُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطَّلَاق:٤].

٧- الْخُرُوجُ مِنَ الْغَمِّ وَالْمِحْنَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطَّلَاق:٢].

٨- الرِّزْقُ الْوَاسِعُ دُونَ عَنَاءٍ أَوْ مَشَقَّةٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلَاق:٢ - ٣].

٩- النَّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مَريَم:٧٢].

١٠- الْبُشْرَى بِمَحَبَّةِ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبَة:٤].

١١- حُصُولُ الْفَلَاحِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة:١٨٩].

١٢- الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذَّاريَات:١٥].

١٣- الْأَمْنُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدُّخان:٥١].

١٤- الْقُرْبُ مِنَ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ التَّمَتُّعِ بِلِقَاءِ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ

﴿ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القَمَر:٥٤ - ٥٥].

١٥- إِصْلَاحُ الْعَمَلِ مَعَ الْمَغْفِرَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزَاب:٧٠ - ٧١].

١٦- الْبَصِيرَةُ وَسُرْعَةُ الِانْتِبَاهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعرَاف:٢٠١].

١٧- التَّوْفِيقُ لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يُونس:٦].

١٨- النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [اللَّيل:١٧].

١٩- حُسْنُ الْعَاقِبَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هُود:٤٩].

٢٠- الْفَوْزُ بِوِلَايَةِ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثِية:١٩].

٢١- التَّعْوِيضُ بِأَفْضَلَ مِمَّا تَرَكَهُ اتِّقَاءً لِلَّهِ تَعَالَى، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، وَأَبِي الدَّهْمَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ الْبَدَوِيُّ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي، فَعَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، فَكَانَ مِمَّا حَفِظْتُ عَنْهُ أَنْ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءً لِلَّهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ»(١).

(١) أخرجه أحمد، وصححه شعيب الأرناؤوط.

صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ

لِلْمُتَّقِينَ صِفَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ، ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى بَعْضًا مِنْهَا، وَمِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ:

١. تَحَرِّي الصِّدْقِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر:٣٣].

٢. تَعْظِيمُ شَعَائِرِ اللهِ وَمَنَاسِكِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، وَمَعْنَى تَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللهِ أَنَّ الْمَرْءَ يُعَظِّمُ حُرُمَاتِ رَبِّهِ، فَلَا يَنْتَهِكُهَا وَيُعَظِّمُ أَوَامِرَ اللهِ، فَيَأْتِي بِهَا عَلَى وَجْهِهَا.

٣. تَحَرِّي الْعَدْلِ وَالْحُكْمِ بِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المَائدة:٨].

٤. اتِّبَاعُ سَبِيلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُصْلِحِينَ وَالْيُسْرِ فِي طَرِيقِهِمْ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا شَأْنُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبَة:١١٩].

الخَوْفُ

الخَـوْفُ مِنَ اللهِ تَاجٌ لِلْقُلُوبِ، وَزَكَاةٌ لِلنُّفُوسِ، وَحَيَاةٌ لِلْأَرْوَاحِ، فَهُوَ دَلِيلُ الْإِيمَانِ، وَعُنْوَانُ السَّعَادَةِ، وَهُوَ سِرُّ الْحَيَاةِ، وَهُوَ أَحَدُ مُحَرِّكَاتِ الْقُلُوبِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَقُودُ الْعَبْدَ إِلَى اللهِ ﷻ، وَهِيَ: الْمَحَبَّةُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ.

وَلِلْخَـوْفِ أَهَمِّيَّةٌ خَاصَّةٌ فِي شَـرِيعَةِ الْإِسْـلَامِ، لِأَنَّهُ يَدْفَعُ الْمُسْـلِمِينَ إِلَى الْأَعْمَـالِ الصَّالِحَةِ، وَيُبْعِدُهُمْ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْفَوَاحِشِ وَالْمَعَاصِي، وَالْخَوْفُ مِنَ اللهِ تَعَالَى سِمَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَآيَةُ الْمُتَّقِينَ، وَدِيدَنُ الْعَارِفِينَ.

وَمَعَ ازْدِيَادِ تَعَلُّقِ النَّاسِ بِالْمَادِّيَّاتِ وَكَثْرَةِ الشَّهَوَاتِ، وَانْحِرَافِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ عَنْ مَنْهَجِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّـمَاوَاتِ، وَبِسَـبَبِ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ النَّاتِجَةِ عَنْ تَنَوُّعِ أَسْبَابِ اللَّهْوِ، وَتَرَاكُمِ الذُّنُوبِ عَلَى الذُّنُوبِ، لَا سَبِيلَ إِلَى النَّجَاةِ إِلَّا بِالْخَوْفِ مِنَ اللهِ، لِأَنَّهُ يُحْفَظُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الزَّلَلِ، فَخَوْفُ اللهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا طَرِيقٌ لِلْأَمْنِ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّـتَانِ﴾ [الرَّحمٰن:٤٦].

عَـنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَـبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَـابٌّ نَشَـأَ فِي عِبَـادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْـجِدِ، وَرَجُـلَانِ تَحَابَّا فِـي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْـهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ

اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»[1].

وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْخَوْفُ سِرَاجٌ فِي الْقَلْبِ، بِهِ يُبْصِرُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبْتَ مِنْهُ إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّكَ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبْتَ إِلَيْهِ، فَالْخَائِفُ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَى رَبِّهِ».

مَنْزِلَةُ الْخَوْفِ وَأَهَمِّيَّتُهُ

الْخَوْفُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاجِبٌ مِنْ أَهَمِّ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ؛ لَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ، لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْآثَارِ الْمُهِمَّةِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: «مَنْزِلَةُ الْخَوْفِ هِيَ مِنْ أَجَلِّ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَنْفَعِهَا لِلْقَلْبِ، وَهِيَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ».

لِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِإِفْرَادِهِ بِالْخَوْفِ وَتَعْظِيمِ مَقَامِهِ جَلَّ وَعَلَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البَقَرَة:٤٠].

وَهُوَ أَصْلُ التَّقْوَى وَرَأْسُ الْحِكْمَةِ، قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا».

وَهُوَ مِنَ الْمَقَامَاتِ الْعُلْيَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فَاطِر:٢٨]، وَلِذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا وَاللهِ، إِنِّي

(١) متفق عليه.

لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ»[1].

أَقْسَامُ النَّاسِ فِي الْخَوْفِ مِنَ اللهِ:

١) السَّابِقُونَ الْمُقَرَّبُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ حَمَلَهُمُ الْخَوْفُ مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْمُسَارَعَةِ فِي الْخَيْرَاتِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ وَالْوَرَعِ وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَقَدْ أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧ - ٦١].

٢) الْمُقْتَصِدُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ حَمَلَهُمُ الْخَوْفُ مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُتَّقُونَ الْمُقْتَصِدُونَ.

٣) الْمُفَرِّطُونَ الظَّالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهَؤُلَاءِ مَعَهُمْ أَصْلُ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِحَيْثُ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ وَارْتِكَابِ نَاقِضٍ مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ، وَالِامْتِنَاعِ عَنْ بَعْضِ الْكَبَائِرِ، وَلَكِنَّهُمْ لِقِلَّةِ خَوْفِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى يَرْتَكِبُونَ بَعْضَ الْكَبَائِرِ وَيَتْرُكُونَ بَعْضَ الْفَرَائِضِ الْوَاجِبَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، فَهَؤُلَاءِ مُذْنِبُونَ مُسْتَحِقُّونَ لِلْعَذَابِ بِقَدْرِ مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ، وَهُمْ بَاقُونَ فِي دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

٤) الْغُلَاةُ الْمُفْرِطُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ حَمَلَهُمُ الْخَوْفُ الشَّدِيدُ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْيَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، فَهَؤُلَاءِ مُذْنِبُونَ غُلَاةٌ، فَلَا يَجُوزُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَيْأَسَ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَلَا أَنْ يَقْنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ.

أَنْوَاعُ الْخَوْفِ

١- الْخَوْفُ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى وَالْحِرْمَانِ مِنْ رِضْوَانِهِ، وَهَذَا هُوَ خَوْفُ الْمُحِبِّينَ، وَسَخَطُ اللهِ تَعَالَى لَهُ سَبَبٌ وَاحِدٌ هُوَ مَعْصِيَةُ اللهِ، لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اجْتَنَبَ فِعْلَ الْمَعْصِيَةِ لَمْ يُعَاقَبْ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَمْسٌ احْفَظُوهُنَّ، لَوْ رَكِبْتُمُ الْإِبِلَ لَأَنْضَيْتُمُوهُنَّ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَا يَخَافُ الْعَبْدُ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَرْجُو إِلَّا رَبَّهُ».

٢- الْخَوْفُ مِنَ الْعَذَابِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْأُخْرَوِيِّ، وَهَذَا الْخَوْفُ مُلَازِمٌ لِقَلْبِ الْمُؤْمِنِ، قَالَ تَعَالَى فِي صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المَعَارج:٢٧ - ٢٨].

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ كُلَّ مَعْصِيَةٍ تُوعِدَ عَلَيْهَا بِلَعْنَةِ اللهِ وَغَضَبِهِ فَهِيَ مَجَالُ خَوْفٍ عَظِيمٍ، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ بَقِيَ مُعَذَّبًا سِنِينَ مِنْ عُمُرِهِ بِسَبَبِ لَعْنَةٍ لَعَنَهَا عَلَى كَبِيرَةٍ عَمِلَهَا، قَدِ اسْتَهَانَ بِمَا عَمِلَ، وَنَسِيَ وَغَفَلَ فَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ، وَلَمْ يَسْتَرِحْ مِنْ عَذَابِهِ!!

٣- الْخَوْفُ مِنْ فَوَاتِ الثَّوَابِ، فَإِنَّ الْعَامِلَ الْمُجْتَهِدَ يَرْجُو ثَمَرَةَ عَمَلِهِ، وَيَخَافُ

أَنْ يُخَيِّبَ سَعْيَهُ بِشَيْءٍ يَقْتَرِفُهُ، فَيَخْسَرَ مَا كَانَ يَرْجُوهُ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ.

وَلَا شَيْءَ أَخْوَفُ عَنِ الصَّالِحِينَ مِنَ الشِّرْكِ، لِأَنَّهُ مُحْبِطٌ لِجَمِيعِ الْعَمَلِ، وَلَا يُعْفَى عَمَّنِ ارْتَكَبَهُ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر:٦٥].

وَقَالَ فِي أَنْبِيَائِهِ عليهم السلام: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

ثَمَرَاتُ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ

١- الْعِلْمُ وَالْبَصِيرَةُ، قَالَ ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر:٩].

٢- السَّبْقُ فِي الْخَيْرَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنُون:٥٧ - ٦١]

٣- التَّمْكِينُ فِي الْأَرْضِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ

وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٣ - ١٤].

٤- الْأَمْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يُرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: «وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٥- النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ»(٢).

٦- رِضَا اللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البَيِّنَة:٨].

٧- الِاسْتِظْلَالُ بِظِلِّ الْعَرْشِ، فَفِي حَدِيثِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وَمِنْهُمْ: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ»

٨- قُرَّةُ الْعَيْنِ وَالنَّعِيمُ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن:٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدة:١٦ - ١٧].

---

(١) أخرجه ابن حبان، وصححه الألباني.

الأَسْبَابُ الْجَالِبَةُ لِلْخَوْفِ مِنَ اللهِ

١. تَذَكُّرُ جَلَالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ عَظَمَتِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر:٦٧].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر:٦٧]، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ»، فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ»(١).

٢. اسْتِحْضَارُ مَشْهَدِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ أَمْرٌ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، فَمَنْ تَفَكَّرَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَخَافَهُ فِي الدُّنْيَا ازْدَادَ خَشْيَةً وَخَوْفًا مِنَ اللهِ تَعَالَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازِعَات:٤٠ - ٤١].

٣. سَمَاعُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْخُطَبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.

جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٣].

٤. الدُّعَاءُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»(١).

٥. كَثْرَةُ الذِّكْرِ، فَإِنَّ الْغَفْلَةَ تُقَسِّي الْقَلْبَ، وَلَا يَزَالُ الْغَافِلُ يُقَسِّي قَلْبُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا لِكَثْرَةِ مَا يُرَيَّنُ عَلَيْهِ حَتَّى يُخْتَمَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ زَجْرٌ وَلَا وَعْظٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

٦. الِابْتِعَادُ عَنْ أَسْبَابِ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّ لِلْخَوْفِ مَوَانِعَ تَمْنَعُهُ كَالْمَعَاصِي وَحُبِّ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا وَالرَّفِيقَةِ السَّيِّئَةِ وَالْغَفْلَةِ وَتَبَلُّدِ الْإِحْسَاسِ وَالتَّسْوِيفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.

الرَّجَاءُ

إِنَّ رَجَـاءَ اللهِ هُـوَ الـرُّوحُ الَّتِـي يَحْيَا بِهَـا المُؤْمِنُونَ فِـي هَـذِهِ الدُّنْيَا، وَهُوَ المَرْكَـبُ الَّذِي يُنْجِينَا بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الهُمُومِ وَالغُمُومِ، وَالأَكْدَارِ وَالأَشْـرَارِ، وَبِهِ نَجَا يُوسُفُ عليه السلام مِنَ البِئْرِ، وَبِهِ نَجَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى مِنْ بَطْنِ الحُوتِ.

الرَّجَاءُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ تَتَعَلَّقُ بِقُلُوبِ المُؤْمِنِينَ المُوَحِّدِينَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا يُغْفَلُ عَنْهَا، وَمَا أَكْثَرَ مَا يُنْسَـى شَـأْنُهَا! فِيهَا تَعْلِيقُ الأَسْـبَابِ وَالمُسَبِّبَاتِ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَعْلِيقُ القُلُوبِ بِرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ وَإِحْسَانِهِ.

وَبِهِ يَطِيبُ سَـيْرُ السَّـائِرِ إِلَى اللهِ، وَيَبْعَثُـهُ عَلَى مُلَازَمَتِهِ، فَلَـوْلَا الرَّجَاءُ لَمَا سَـارَ أَحَدٌ، فَإِنَّ الخَوْفَ وَحْدَهُ لَا يُحَرِّكُ العَبْدَ، وَإِنَّمَـا يُحَرِّكُهُ الحُبُّ، وَيُزْعِجُهُ الخَوْفُ، وَيَحْدُوهُ الرَّجَاءُ.

تَعْرِيفُ الرَّجَاءِ

فِي اللُّغَةِ: بِمَعْنَى الأَمَلِ، وَهُوَ ضِدُّ اليَأْسِ.

وَفِي الاصْطِلَاحِ: هُوَ ارْتِيَاحُ القَلْبِ لانْتِظَارِ مَا هُوَ مَحْبُوبٌ عِنْدَهُ، وَتَرَقُّبُ حُصُولِهِ. وَقِيلَ: هُوَ الاسْتِبْشَارُ بِجُودِ اللهِ وَفَضْلِهِ، وَالطَّمَعُ فِي إِحْسَانِهِ وَعَطَائِهِ، مَعَ بَذْلِ الجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

فَالرَّجَاءُ مَحْمُودٌ لِأَنَّهُ بَاعِثٌ يَبْعَثُ عَلَى العَمَلِ، بِخِلَافِ اليَأْسِ؛ فَاليَأْسُ مَذْمُومٌ؛ لِأَنَّهُ صَارِفٌ وَمُقْعِدٌ عَنِ العَمَلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف:٨٧].

الفَرْقُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي

الرَّجَاءُ: يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

التَّمَنِّي: يَكُونُ مَعَ الكَسَلِ، وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الجِدِّ وَالاجْتِهَادِ.

فَمَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ، أَوْ تَابَ مِنَ الذُّنُوبِ وَرَجَا مَغْفِرَتَهُ، فَهُوَ رَاجٍ.

وَمَنْ رَجَا الرَّحْمَةَ وَالمَغْفِرَةَ بِلا طَاعَةٍ وَلَا تَوْبَةٍ، فَهُوَ مُتَمَنٍّ، وَرَجَاؤُهُ كَاذِبٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء:١٢٣]، فَلَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي القَلْبِ وَصَدَّقَهُ العَمَلُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكَهف:١١٠].

قَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ قَوْمًا أَلْهَتْهُمُ الأَمَانِي حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا لَهُمْ حَسَنَةٌ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: إِنِّي أُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّي! وَكَذَبَ، لَوْ أَحْسَنَ الظَّنَّ لَأَحْسَنَ العَمَلَ».

وَقَـالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَعَ العَارِفُونَ عَلَـى أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا مَعَ العَمَلِ».

أَسْبَابُ تَحْقِيقِ الرَّجَاءِ

١) تَذَكُّرُ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى العَبْدِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَبَدَنِهِ.

٢) تَذَكُّرُ سَوَابِقِ فَضْلِ اللهِ عَلَى العَبدِ.

٣) تَذَكُّرُ وَعْدِ اللهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ وَعَظِيمِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ.

٤) تَذَكُّرُ سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ.

٥) مَعْرِفَةُ أَسْـمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَى، وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الغَنِيُّ الكَرِيمُ الرَّؤُوفُ بِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ.

ثَمَرَاتُ الرَّجَاءِ

١- يُورِثُ العَبْدَ فِعْلَ الطَّاعَاتِ وَالمُوَاظَبَةَ عَلَيْهَا.

٢- يُبْعِثُهُ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي العِبَادَةِ، بَلْ يُولِّدُ عِنْدَهُ اللَّذَّةَ بِالعِبَادَةِ.

٣- يُشْعِرُ العَبْدَ بِالإِقْبَالِ عَلَى اللهِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ.

٤- يُظْهِرُ العُبُودِيَّةَ وَالحَاجَةَ وَالافْتِقَارَ إِلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ.

٥- يَنْجِي مِنْ غَضَبِ اللهِ؛ لِأَنَّ الرَّاجِيَ كَثِيرُ السُّؤَالِ.

٦- يَطِيبُ بِهِ مَسِيرُ العَبْدِ إِلَى اللهِ.

٧- يَزِيدُ مَحَبَّةَ اللهِ فِي قَلْبِ العَبْدِ.

٨- يَبْعَثُ عَلَى مَقَامِ الشُّكْرِ.

٩- يُوَجِبُ المَزِيدَ مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَى أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى.

العَلَاقَةُ بَيْنَ الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ مُتَلَازِمَانِ؛ فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ، وَكُلُّ خَائِفٍ رَاجٍ. وَالمُؤْمِنُ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا كَمَا يَطِيرُ الطَّائِرُ بِجَنَاحَيْنِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر:٩].

وَمِنَ الأَحْوَالِ الَّتِي يُغْلَّبُ فِيهَا جَانِبُ الرَّجَاءِ:

۞ حَالُ المَوْتِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ»(١).

۞ حَالُ قُنُوطِ البَعْضِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

وَمِنَ الأَحْوَالِ الَّتِي يُغْلَبُ فِيهَا جَانِبُ الخَوْفِ:

عِنْدَ شِدَّةِ التَّرَفِ، وَعِنْدَ المَعْصِيَةِ، وَعِنْدَ الأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ.

(١) أخرجه مسلم.

المَحَبَّةُ

مَحَبَّـةُ اللهِ ﷻ هِـيَ الغَايَةُ القُصْوَى، الَّتِي يَتَوَخَّاهَا المُسْـلِمُ فِـي أَمْرِهِ كُلِّهِ، وَيَسْـعَى لِنَيْلِهَا صَبَاحَ مَسَـاءَ، وَيُضَحِّي لِأَجْلِهَا بِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا؛ إِذْ هِيَ الأَسَاسُ الَّتِي يُقِيمُ المُسْلِمُ عَلَيْهَا بُنْيَانَهُ الإِيمَانِيَّ، وَهِيَ المِعْيَارُ وَالمِقْيَاسُ الَّتِي يَعْرِفُ مِنْ خِلَالِهَا المُؤْمِنُ مَدَى عَلاقَتِهِ بِاللهِ ﷻ، قُرْبًا وَبُعْدًا، وَقُوَّةً وَضَعْفًا.

وَمَحَبَّةُ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ مَقَامَاتِ العِبَادَةِ، وَعَلَيْهَا تَدُورُ رَحَى الطَّاعَةِ وَالسَّيْرِ إِلَى اللهِ، لِأَنَّهَا تَسُوقُ المُؤْمِنَ إِلَى القُرْبِ، وَتُرَغِّبُهُ فِي الإِقْبَالِ عَلَى اللهِ، وَتُهَوِّنُ المَشَاقَّ وَالعَنَاءَ فِي سَبِيلِ رِضَا اللهِ وَالفَوْزِ بِجَنَّتِهِ، قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ المُؤْمِنِينَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المَائدة: ٥٤].

وَالمُحِبُّ لِلَّهِ هُوَ الَّذِي يَعُدُّ طَاعَةَ مَحْبُوبِهِ قُوتًا وَنَعِيمًا وَلَذَّةً وَسُرُورًا، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ بِدُونِ تَوَانٍ وَلَا كَلَلٍ وَيَسْعَدُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ.

تَعْرِيفُ المَحَبَّةِ

فِي اللُّغَةِ: مَيْلُ القَلْبِ لِلشَّيْءِ، وَلُزُومُهُ وَهَيَجَانُهُ إِلَيْهِ.

وَفِي الاصْطِلَاحِ: هِيَ تَعَلُّقُ قَلْبِ العَبْدِ بِرَبِّهِ المُقْتَرِنُ بِعَزْمِهِ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، مُسْتَأْنِسًا بِاللهِ وَحْدَهُ وَمُسْتَعِينًا بِهِ، وَتَشْمَلُ تِلْكَ المَحَبَّةُ بَذْلَ النَّفْسِ لِلْخَالِقِ

المَحْبُوبِ وَمَنْعَهَا عَنْ غَيْرِهِ.

ومَحَبَّةُ العَبْدِ لِرَبِّهِ فَرِيضَةٌ شَرْعِيَّةٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ لَا يَتْرُكُهَا إِلَّا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ جَاهِلٌ مَحْرُومٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وَمَحَبَّةُ الرَّسُولِ ﷺ تَابِعَةٌ لِمَحَبَّةِ اللهِ ﷻ، كَمَا جَاءَ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

الأَسْبَابُ الجَالِبَةُ لِمَحَبَّةِ اللهِ لِلعَبْدِ وَمَحَبَّةِ العَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى:

١) قِرَاءَةُ القُرْآنِ بِتَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ لِمَعَانِيهِ، وَمَا أُرِيدَ بِهِ. قَالَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ رضي الله عنهما: إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوُا القُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ.

وَلِهَذَا فَإِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ اسْتَجْلَبَ مَحَبَّةَ اللهِ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ الَّتِي فِيهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا، فَظَلَّ يُرَدِّدُهَا فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) متفق عليه.

«أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»[1].

٢) التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الفَرَائِضِ، فَإِنَّهَا مَوْصِلَةٌ إِلَى دَرَجَةِ المَحْبُوبِ بَعْدَ المَحَبَّةِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ عَنْ رَبِّ العِزَّةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ»[2].

٣) دَوَامُ ذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، بِاللِّسَانِ وَالقَلْبِ وَالعَمَلِ وَالحَالِ، فَنَصِيبُهُ مِنَ المَحَبَّةِ عَلَى قَدْرِ نَصِيبِهِ مِنَ الذِّكْرِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة:١٥٢]. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»[3].

٤) إِيثَارُ مَحَابِّهِ عَلَى مَحَابِّكَ عِنْدَ غَلَبَاتِ الهَوَى، وَالتَّسَنُّمُ إِلَى مَحَابِّهِ وَإِنْ

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه البخاري.

صَعْـبَ المَرْتَقَى. وَذَلِكَ بِإِيثَارِ رِضَا اللهِ ﷻ عَلَـى غَيْرِهِ، بِأَنْ يُرِيدَ وَيَفْعَلَ مَا فِيهِ مَرْضَاتُهُ جلَّ وَعَلا، وَلَوْ أَغْضَبَ الخَلْقَ.

وَهَذَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ: بِقَهْرِ هَوَى النَّفْسِ، وَمُخَالَفَتِهِ، وَمُجَاهَدَةِ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَائِهِ.

٥) مُطَالَعَةُ القَلْبِ لِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَمُشَاهَدَتُهَا وَمَعْرِفَتُهَا، وَتَقَلُّبُهُ فِي رِيَاضِ هَذِهِ المَعْرِفَةِ، فَمَنْ عَرَفَ اللهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ.

٦) اسْتِشْـعَارُ نِعَمِ اللهِ، لِأَنَّ العَبْدَ أَسِيرُ الإِحْسَانِ، فَالإِنْعَامُ وَالبِرُّ وَاللُّطْفُ مَعَانٍ تَسْـتَرِقُّ مَشَـاعِرَهُ وَتَسْـتَوْلِي عَلَى أَحَاسِيسِـهِ، وَتَدْفَعُهُ إِلَى مَحَبَّةِ مَنْ يُسْدِي إِلَيْـهِ النِّعْمَةَ وَيَهْدِي إِلَيْهِ المَعْـرُوفَ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ حَقِيقَةً، وَأَنْوَاعُ إِحْسَـانِهِ لَا يُحِيـطُ بِهَا حَصْرٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهِيم:٣٤].

٧) انْكِسَارُ القَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى.

٨) الخَلْـوَةُ بِهِ وَقْتَ نُزُولِهِ الإِلَهِيِّ، لِمُنَاجَاتِـهِ وَتِلَاوَةِ كَلَامِهِ، وَالوُقُوفُ بِالقَلْبِ وَالتَّأَدُّبُ بِأَدَبِ العُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ خَتْمُ ذَلِكَ بِالاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.

إِنَّ أَصْحَابَ اللَّيْلِ هُمْ بِلا شَـكٍّ مِنْ أَهْلِ المَحَبَّةِ، بَلْ هُمْ مِنْ أَشْـرَفِ أَهْلِ المَحَبَّةِ، لِأَنَّ قِيَامَهُمْ فِي اللَّيْلِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى يَجْمَعُ لَهُمْ جُلَّ أَسْبَابِ المَحَبَّةِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا.

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمْ أَجِدْ مِنَ العِبَادَةِ شَيْئًا أَشَدَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ. فَقِيلَ لَهُ: مَا بَالُ المُتَهَجِّدِينَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وُجُوهًا؟ فَقَالَ: لِأَنَّهُمْ خَلَوْا بِالرَّحْمَنِ فَأَلْبَسَهُمْ مِنْ نُورِهِ».

٩) مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ المُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، وَالتَّقَاطُ أَطَايِبِ ثَمَرَاتِ كَلَامِهِمْ كَمَا يُنْتَقَى أَطَايِبُ الثَّمَرِ، وَلَا تَتَكَلَّمُ إِلَّا إِذَا تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَةُ الكَلَامِ وَعَلِمْتَ أَنَّ فِيهِ مَزِيدًا لِحَالِكَ وَمَنْفَعَةً لِغَيْرِكَ. لَمَّا جَاءَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»[1].

١٠) مُبَاعَدَةُ كُلِّ سَبَبٍ يَحُولُ بَيْنَ القَلْبِ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ. فَالقَلْبُ إِذَا فَسَدَ فَلَنْ يَجِدَ المَرْءُ فَائِدَةً فِيمَا يُصْلِحُهُ مِنْ شُؤُونِ دُنْيَاهُ وَلَنْ يَجِدَ نَفْعًا أَوْ كَسْبًا فِي آخِرَتِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨ - ٨٩].

ثَمَرَاتُ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى

١- كَمَالُ الإِيمَانِ وَحُسْنُ الإِسْلَامِ.

٢- غِذَاءُ الأَرْوَاحِ وَالقُلُوبِ، وَبِهَا تَقَرُّ العُيُونُ، بَلْ إِنَّهَا هِيَ الحَيَاةُ الَّتِي يُعَدُّ مَنْ حُرِمَ مِنْهَا مِنْ جُمْلَةِ الأَمْوَاتِ.

---

(١) أخرجه مالك وأحمد والطبراني، وصححه الألباني.

٣- الثَّبَاتُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكُرُبَاتِ.

٤- النَّعِيمُ وَالسُّرُورُ فِي الدُّنْيَا، المَوْصِلُ إِلَى نَعِيمِ وَسُرُورِ الآخِرَةِ.

٥- أَنْ يَسْتَشْعِرَ المَرْءُ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ، فَيَذُوقَ طَعْمَ الرِّضَا وَيَنْعَمَ بِالرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ.

٦- المَحَبَّةُ طَرِيقٌ إِلَى رَاحَةِ البَالِ وَطُمَأْنِينَةِ النَّفْسِ.

عَلَامَاتُ مَحَبَّةِ اللهِ لِلعَبْدِ

١. اتِّبَاعُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالاقْتِدَاءُ بِهِ، وَالحِرْصُ عَلَى التَّأَسِّي بِهِ؛ فَهُوَ عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ لِلعَبْدِ، وَدَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ إِيمَانِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

٢. مَحَبَّةُ النَّاسِ وَالثَّنَاءُ الحَسَنُ عَلَى العَبْدِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ. قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ»[(١)].

(١) أخرجه مسلم.

٣. حُسْنُ الخُلُقِ. عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ، إِذْ جَاءَهُ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ فَقَالُوا: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(١).

(١) أخرجه الطبراني، وصححه الألباني.

الصَّبْرُ

مَا أَشَـدَّ الحَاجَـةَ إِلَى الصَّبْرِ، لَاسِـيَّمَا فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ الَّتِي اشْـتَدَّتْ فِيهَا الغُرْبَةُ، وَكَثُرَتْ فِيهَا الفِتَنُ، وَصَارَ القَابِضُ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ.

إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ، وَالآخِرَةُ دَارُ جَزَاءٍ، فَلَا يَسْلَمُ المُؤْمِنُ فِي هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا مِنَ المَصَائِبِ، فَمَنْ فِيهَا لَمْ يُصَبْ بِمُصِيبَةٍ ؟!

المَرءُ رَهنُ مَصائِبٍ لا تَنقَضي ... حَتّى يُوارى جِسمُهُ في رَمسِهِ
فَمُؤَجَّلٌ يَلقى الرَدى في أَهلِهِ ... وَمُعَجَّلٌ يَلقى الرَدى في نَفسِهِ

وَإِذَا كَانَـتْ هَذِهِ الأَحْـوَالُ لَا تُفَارِقُهُ فَالصَّبْرُ لَازِمٌ إِلَـى المَمَاتِ، وَهُوَ مِنْ عَزَائِمِ الأُمُورِ، فَالحَيَاةُ إِذَنْ لَا تَسْتَقِيمُ إِلَّا بِهِ، فَهُوَ الدَّوَاءُ النَّافِعُ لِكُلِّ دَاءٍ.

وَمِنَ الحِكَمِ الإِلَهِيَّةِ مِنَ الِابْتِلَاءَاتِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا العَبْدُ فِي حَيَاتِهِ، هِيَ:

١) يُمَيِّـزُ بِهَا المَوْلَى سُـبْحَانَهُ صِـدْقَ إِيمَانِ العِبَـادِ؛ فَيَظْهَرُ صَادِقُهُ مِـنْ كَاذِبِهِ، وَيَنْكَشِـفُ غَثُّهُ مِنْ سَـمِينِهِ، وَفِي هَذَا يَقُولُ سُـبْحَانَهُ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عِمران:١٧٩].

٢) تَرْبِيَةٌ لِنُفُوسِ المُؤْمِنِينَ فِي مَيْدَانِ الثَّبَاتِ عَلَى الحَقِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عِمران:١٤١].

٣) تَكْفِيرُ ذُنُوبِ المُؤْمِنِينَ وَرَفْعُ دَرَجَاتِهِمْ فِي الآخِرَةِ، قَالَ ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(١).

تَعْرِيفُ الصَّبْرِ

الصَّبْرُ لُغَةً: الحَبْسُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨]، أَيْ: احْبِسْ نَفْسَكَ مَعَهُمْ.

وَفِي الاِصْطِلَاحِ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الجَزَعِ، وَاللِّسَانِ عَنِ التَّشَكِّي، وَالجَوَارِحِ عَنْ لَطْمِ الخُدُودِ وَشَقِّ الثِّيَابِ وَنَحْوِهِمَا.

وَبِهَذَا يُعْرَفُ أَنَّ الصَّبْرَ فِي الشَّرْعِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١) **الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ**، كَذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَالثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَعَلَى طَلَبِ الهُدَى وَالعِلْمِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المُنَافِقُونَ:٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مَرْيَم:٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢].

٢) **الصَّبْرُ عَنِ المَعَاصِي**، بِأَنْ تَحْبِسَ نَفْسَكَ عَنْ فِعْلِ المُحَرَّمِ حَتَّى مَعَ وُجُودِ

(١) متفق عليه.

السَّـبَبِ، كَمَا وَقَعَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ امْرَأَةِ العَزِيزِ، فَإِنَّهَا دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا فِي حَـالٍ هِيَ أَقْوَى مَا يَكُـونُ لِلْإِجَابَةِ، لِأَنَّهَـا أَغْلَقَتِ الأَبْـوَابَ وَقَالَتْ: هَيْتَ لَـكَ (أَيْ: تَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِـهَا). فَقَـالَ: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يُوسُف:٢٣]، أَيْ: إِنَّهُ سَيِّدِي فَإِنْ خُنْتُهُ فِي أَهْلِهِ فَأَنَا ظَالِمٌ.

وَقَـالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ [يُوسُـف:٢٤]، فَلَـمْ يَفْعَلْ مَعَ قُوَّةِ الدَّاعِي وَانْتِفَاءِ المَوَانِعِ، فَهَذَا صَبْرٌ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى.

وَفِي حَدِيثِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ».

٣) **الصَّبْـرُ عَلَـى المَصَائِبِ وَالأَقْـدَارِ**، وَاللهُ تَعَالَى يُثِيبُ عَلَى ذَلِـكَ بِالتَّعْوِيضِ وَالثَّنَاءِ وَالرَّحْمَـةِ وَالهِدَايَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة:١٥٥ - ١٥٦].

وَمِنْ وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لُقمَان:١٧].

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُـولُ مَا أَمَـرَهُ اللهُ بِهِ: «إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُـونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِـي فِي مُصِيبَتِي

وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»[1].

فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَتْ: أَيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ! ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[2].

وَالقِسْمَانِ الأَوَّلَانِ أَشْرَفُ وَأَعْلَى مِنَ القِسْمِ الثَّالِثِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ أَكْثَرُ النَّاسِ غَيْرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبْرَ فِي القِسْمَيْنِ الأَوَّلَيْنِ اخْتِيَارِيٌّ، أَيْ بِإِمْكَانِ الإِنْسَانِ أَنْ يَصْبِرَ فَيَفْعَلَ الطَّاعَةَ وَيَجْتَنِبَ المَعْصِيَةَ، وَبِقُدْرَتِهِ أَنْ لَا يَصْبِرَ فَيُعْطِيَ نَفْسَهُ هَوَاهَا فَيَتْرُكَ الطَّاعَةَ وَيَرْتَكِبَ المَعْصِيَةَ.

أَمَّا فِي القِسْمِ الثَّالِثِ: فَإِنَّ القَدَرَ نَافِذٌ لَا مَحَالَةَ، صَبَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ، إِلَّا أَنَّهُ إِنْ صَبَرَ أُجِرَ وَقَدَرُ اللهِ نَافِذٌ، وَإِنْ سَخِطَ أَثِمَ وَقَدَرُ اللهِ نَافِذٌ.

حُكْمُ الصَّبْرِ

الصَّبْرُ وَاجِبٌ بِإِجْمَاعِ الأُمَّةِ، لِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِهِ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ العَزِيزِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البَقَرَة:٤٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عِمران:٢٠٠].

---

(١) مسلم.

(٢) متفق عليه.

أَمَّـا الرِّضَـا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ فَمُسْـتَحَبٌّ، وَالمُرَادُ بِهِ: التَّسْـلِيمُ وَسُـكُونُ القَلْبِ وَطُمَأْنِينَتُهُ لِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى، إِذْ كُلُّهُ عَدْلٌ وَخَيْرٌ وَحِكْمَةٌ.

مَنْزِلَةُ الصَّبْرِ

مَنْزِلَةُ الصَّبْرِ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ، كَمَا أَنَّهُ لَا جَسَدَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ.

عَنْ أَبِي مُوسَـى الأَشْـعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْـدِ قَـالَ اللهُ تَعَالَـى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَـدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَـمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُـمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ»(١).

عَـنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَـالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّـوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّـفُ فَادْعُ اللهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِـئْتِ صَبَـرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَلَّا أَتَكَشَّفُ، فَدَعَا لَهَا»(١).

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي، وصححه الألباني.

فَضْلُ الصَّبْرِ وَالصَّابِرِينَ

١- إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِلصَّابِرِينَ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البَقَرَة:١٥٥ - ١٥٧].

٢- فَوْزُ الصَّابِرِينَ بِمَعِيَّةِ الرَّحْمَنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفَال:٤٦].

٣- الصَّابِرُونَ هُمْ أَهْلُ الإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: (بِالصَّبْرِ وَاليَقِينِ تُنَالُ الإِمَامَةُ فِي الدِّينِ)، ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللهِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ﴾ [السَّجدة:٢٤].

٤- الصَّابِرُونَ هُمْ أَهْلُ مَحَبَّةِ اللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عِمران:١٤٦].

٥- الصَّابِرُونَ هُمُ الفَائِزُونَ بِالجَنَّةِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنُون:١١١].

٦- مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ العَبْدَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، قَالَ ﷺ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةُ

يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[1].

٧- الصَّبْرُ مِنَ النِّعَمِ العَظِيمَةِ الَّتِي يُكْرِمُ اللهُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»[2].

الأَسْبَابُ المُعِينَةُ عَلَى الصَّبْرِ

١) التَّفَكُّرُ فِي عَظَمَةِ فَضْلِ الصَّبْرِ، وَكَثْرَةِ ثَوَابِهِ فِي الآخِرَةِ.

٢) اليَقِينُ بِأَنَّهُ لَا يَقَعُ شَيْءٌ إِلَّا بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَى.

٣) دُعَاءُ اللهِ وَسُؤَالُهُ تَيْسِيرَ الصَّبْرِ عِنْدَ نُزُولِ البَلَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٦].

٤) تَذَكُّرُ كَثْرَةِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ.

٥) العِلْمُ بِأَنَّ الجَزَعَ وَقِلَّةَ الصَّبْرِ لَا تَرُدُّ المُصِيبَةَ.

٦) العِلْمُ بِأَنَّ اخْتِيَارَ اللهِ لَهُ أَحْسَنُ مِنَ اخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ.

٧) اسْتِحْضَارُ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ.

٨) أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ زَمَنَ البَلَاءِ سَاعَةٌ وَسَتَنْقَضِي.

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

٩) مُطَالَعَةُ سِيَرِ السَّابِقِينَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَدِرَاسَةُ مَوَاقِفِهِمُ المَبَارَكَةِ فِي الصَّبْرِ لِيَأْنَسَ بِهِمْ.

ثَمَرَاتُ الصَّبْرِ

١- الصَّبْرُ ضِيَاءٌ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»(١).

٢- الفَلَاحُ وَالنَّصْرُ وَنَيْلُ المَطْلُوبِ، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عِمران:٢٠٠].

٣- نَيْلُ مَحَبَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَقَدْ عَلَّقَ اللهُ تَعَالَى مَحَبَّتَهُ بِالصَّبْرِ، وَجَعَلَهَا لِأَهْلِ الصَّبْرِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عِمران:١٤٦].

٤- المَغْفِرَةُ وَمُضَاعَفَةُ الأَجْرِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [هُود:١١].

٥- الجَنَّةُ وَبَيْتُ الحَمْدِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُجَازِي المُؤْمِنِينَ بِالجَنَّةِ عَلَى صَبْرِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرَّعد:٢٤].

---

(١) أخرجه مسلم.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ عَلَى يَاسِرٍ وَسُمَيَّةَ رضي الله عنهما وَهُمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَيَقُولُ لَهُمَا: «اصْبِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمُ الجَنَّةُ»(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»(٢).

(١) أخرجه الحاكم، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم.

الشُّكْرُ

العَبْـدُ فِي هَـذِهِ الحَيَاةِ يَتَقَلَّبُ بَيْنَ نِعَمٍ مِنَ اللهِ تَتَرَادَفُ عَلَيْهِ فَقِيدُهَا الشُّـكْرُ وَمِحَـنٍ يُبْتَلِـي بِهَـا رَبُّـهُ فَفَرْضُهَا الصَّبْـرُ.. فَمَنْ عَرَفَ حَـقَّ اللهِ عَلَيْهِ فِـي نِعَمِهِ فَشَـكَرَهَا، وَوَاجِبَهُ فِي مِحَنِهِ فَصَبَرَ لَهَا وَلَـمْ يَتَسَـخَّطْهَا حَازَ الخَيْرَ كُلَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤْمِنِ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَه»(١)

إِنَّ مِـنْ أَجَـلِّ العِبَـادَاتِ أَثَـرًا عَلَى القَلْـبِ، وَشَـرْحًا لِلصَّـدْرِ، وَرِضًا فِي النَّفْسِ.. عِبَادَةَ الشُّكْرِ.

وَالشُّـكْرُ نِصْفُ الدِّينِ.. وَالصَّبْرُ نِصْفُهُ الآخَرُ.. وَلَمَّا كَانَ الإِيمَانُ نِصْفَيْنِ كَانَ حَقِيقًا عَلَى مَنْ نَصَحَ نَفْسَـهُ وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا وَآثَرَ سَـعَادَتَهَا أَلَّا يُهْمِلَ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ، وَلَا يَعْدِلَ عَنْ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ القَاصِدَيْنِ، وَأَنْ يَجْعَلَ سَـيْرَهُ إِلَى اللهِ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ، لِيَجْعَلَهُ اللهُ يَوْمَ لِقَائِهِ مِنْ خَيْرِ الفَرِيقَيْنِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

تَعْرِيفُ الشُّكْرِ

فِي اللُّغَةِ: هُوَ عِرْفَانُ الإِحْسَانِ وَإِظْهَارِهِ وَنَشْرُهُ.

وَفِي الاصْطِلَاحِ: مُقَابَلَةُ المُنْعِمِ عَلَى فِعْلِهِ بِثَنَاءٍ عَلَيْهِ، وَقَبُولٍ لِنِعْمَتِهِ، وَاعْتِرَافٍ بِهَا.

فَالشُّكْرُ يَتَضَمَّنُ:

- مَعْرِفَةَ النِّعْمَةِ.
- مَعْرِفَةَ المُنْعِمِ جَلَّ وَعَلَا وَإِسْنَادَهَا إِلَيْهِ.
- الرِّضَا بِهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ».
- الثَّنَاءَ عَلَى اللهِ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضُّحى:١١].
- إِظْهَارَ أَثَرِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ، عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ أَوْ شَمْلَتَانِ، فَقَالَ لِي: «هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَدْ آتَانِي اللهُ ﷻ مِنْ كُلِّ مَالِهِ مِنْ خَيْلِهِ وَإِبِلِهِ وَغَنَمِهِ وَرَقِيقِهِ، فَقَالَ: «فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا، فَلْيَرَ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ» فَرُحْتُ إِلَيْهِ فِي حُلَّةٍ»[١]

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

❁ اسْتِعْمَالَهَا فِي طَاعَةِ اللهِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: مَنْ عَرَفَ النِّعْمَةَ، وَعَرَفَ المُنْعِمَ بِهَا، وَأَقَرَّ بِهَا، وَخَضَعَ لِلْمُنْعِمِ بِهَا، وَأَحَبَّهُ، وَرَضِيَ بِهِ وَعَنْهُ، وَاسْتَعْمَلَهَا فِي مَحَابِّهِ وَطَاعَتِهِ، فَهَذَا هُوَ الشَّاكِرُ لَهَا.

الفَرْقُ بَيْنَ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ

❁ أَنَّ الحَمْدَ يَخْتَصُّ بِاللِّسَانِ بِخِلَافِ الشُّكْرِ فَهُوَ بِاللِّسَانِ وَالقَلْبِ وَالجَوَارِحِ.

❁ أَنَّ الحَمْدَ يَكُونُ فِي مُقَابِلِ نِعْمَةٍ وَيَكُونُ بِدُونِهَا بِخِلَافِ الشُّكْرِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي مُقَابِلِ نِعْمَةٍ.

حُكْمُ الشُّكْرِ

يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ عَلَى نِعَمِهِ الكَثِيرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البَقَرَة:١٥٢].

وَلَقَدْ أَمَرَتْ شَرِيعَتُنَا الإِسْلَامِيَّةُ بِشُكْرِ النَّاسِ عَلَى إِحْسَانِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ عَلَيْنَا وَمِنْ أَخَصِّ مَنْ أَمَرَنَا بِشُكْرِهِ الوَالِدَيْنِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لُقمَان:١٤]، وَأَمَرَ بِهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ، فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ، فَقَدْ كَفَرَهُ»[(١)].

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَقَدْ قَرَنَ شُكْرَ اللهِ بِشُكْرِ النَّاسِ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاس»(١).

وَمَعْنَى الحَدِيثِ: أَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ طَبْعِهِ وَعَادَتِهِ كُفْرٌ وَجُحُودٌ لِمَعْرُوفِ النَّاسِ فَسَيَكُونُ مِنْ طَبْعِهِ كُفْرٌ خَالِقِ النَّاسِ.

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَى الجَاحِدَ لِنِعَمِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العَادِيَات:٦]. وَهُوَ الَّذِي يَعُدُّ المَصَائِبَ، وَيَنْسَى النِّعَمَ.

وَذَمَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ النِّسَاءَ الَّاتِي يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَبَيَّنَ أَنَّهُنَّ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»(٢).

الأَسْبَابُ المُعِينَةُ عَلَى الشُّكْرِ

۞ تَذَكُّرُ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى، لِأَنَّ ذِكْرَهَا سَبَبٌ وَبَاعِثٌ عَلَى شُكْرِهَا.

۞ النَّظَرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ [الأنعَام:١٦٥]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»(١).

۞ عِلْمُ العَبْدِ أَنَّهُ مَسْؤُولٌ عَنِ النِّعَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التَّكاثُر:٨].

۞ مَعْرِفَةُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ.

۞ دُعَاءُ اللهِ أَنْ يُعِينَنَا عَلَى الشُّكْرِ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَدْعُوَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ بِقَوْلِهِ: «رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(٢).

ثَمَرَاتُ الشُّكْرِ

۞ رِضَا اللهِ سُبْحَانَهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ النَّجَاةُ مِنْ عَذَابِهِ، فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ لَا غَرَضَ لَهُ مِنْ عَذَابِ الخَلْقِ إِذَا شَكَرُوا وَآمَنُوا بِهِ فَقَالَ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النِّسَاء:١٤٧].

۞ بَقَاءُ النِّعْمَةِ وَزِيَادَتُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهِيم:٧] فَالنِّعَمُ تَزِيدُ بِالشُّكْرِ وَتُحْفَظُ مِنَ الزَّوَالِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَيِّدُوا نِعَمَ اللهِ بِشُكْرِ اللهِ.

الوَرَعُ

الـوَرَعُ هُـوَ حَالَةٌ فِـي الْإِنْسَـانِ تُؤَدِّي إِلَـى حِفْـظِ النَّفْسِ مِـنَ الْمَعَاصِي، وَاجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ خَوْفًا مِنَ ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَيُعَدُّ الْوَرَعُ أَعْلَى مَرْتَبَةً مِنَ التَّقْوَى؛ لِأَنَّ الْإِنْسَـانَ صَاحِبَ الْوَرَعِ يَسْـعَى إِلَى تَرْكِ الشُّـبُهَاتِ، بَلْ إِلَى تَرْكِ الْحَلَالِ لَوْ كَانَ هُنَاكَ مَخَافَةُ الْوُقُوعِ بِالْحَرَامِ.

وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى صَلَاحِ الْعَبْدِ، وَقَدْ كَانَ السَّـلَفُ الصَّالِحُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَتَعَلَّمُونَ الْـوَرَعَ تَعَلُّمًا، وَهُوَ مُهِمٌّ فِي عَصْرِنَا هَذَا الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الرِّشْـوَةُ وَأَكْلُ الْحَرَامِ وَالْوُقُوعُ فِي الْمُحَرَّمَاتِ، وَحَتَّى يُتَرَبَّى جِيلُنَا عَلَى الزَّهَادَةِ وَالتَّقْوَى.

تَعْرِيفُ الْوَرَعِ

لُغَةً: التَّقْوَى، وَالتَّحَرُّجُ، وَالْكَفُّ عَنِ الْمَحَارِمِ.

وَاصْطِلَاحًا: اجْتِنَابُ الشُّبُهَاتِ خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَرْكُ مَا لَا بَأْسَ بِهِ؛ حَذَرًا مِمَّا بِهِ الْبَأْسُ.

وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَرَعَ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[1]، فَهَذَا يَعُمُّ التَّرْكَ لِمَا لَا يَعْنِيهِ مِنَ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ

(١) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَالْبَطْشِ وَالْمَشْـيِ وَالْفِكْرِ وَسَـائِرِ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَـةِ، فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ فِي الْوَرَعِ.

وَقَـالَ إِبْرَاهِيمُ: الْوَرَعُ تَرْكُ كُلِّ شُـبْهَةٍ وَتَرْكُ مَـا لَا يَعْنِيكَ وَتَرْكُ الْفُضُلَاتِ (الْأَشْـيَاءِ الزَّائِـدَةِ) وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مَرْفُوعًا: «يَا أَبَا هُرَيْـرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاس»[1].

مَرَاتِبُ الْوَرَعِ

الْوَرَعُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ:

١) وَاجِبٌ وَهُوَ الْإِحْجَامُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَهَذَا لِلنَّاسِ كَافَّةً.

٢) الْوُقُوفُ عَنِ الشُّبُهَاتِ وَيَفْعَلُهُ عَدَدٌ أَقَلُّ مِنَ النَّاسِ.

٣) الْكَـفُّ عَـنْ كَثِيرٍ مِـنَ الْمُبَاحَاتِ وَالِاقْتِصَـارُ عَلَى أَقَلِّ الضَّـرُورَاتِ وَذَلِكَ لِلنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

أَهَمِّيَّةُ الْوَرَعِ

لَا رَيْـبَ أَنَّ تَطْهِيـرَ النَّفْسِ مِنَ النَّجَاسَـاتِ وَتَقْصِيرَهَا مِنْ جُمْلَـةِ التَّطْهِيرِ الْمَأْمُورِ بِهِ، إِذْ بِهِ تَمَامُ إِصْلَاحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْوَرَعَ يُطَهِّرُ دَنَسَ الْقَلْبِ وَنَجَاسَـاتِهِ كَمَا يُطَهِّـرُ الْمَاءُ دَنَسَ الثَّوْبِ وَنَجَاسَـتَهُ، وَبَيْنَ الثِّيَابِ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَالْقُلُوبِ مُنَاسَبَةٌ ظَاهِرَةٌ، لِذَلِكَ أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»(١).

وَلَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ»(٢)، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ بَأْسٌ»(٣).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «كُنَّا نَدَعُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي الْحَرَامِ».

وَالْوَرَعُ يَكُونُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَبَعْضِ الْمُبَاحَاتِ، وَلَا يَكُونُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ.

قَالَ طَاوُوسٌ رَحِمَهُ اللهُ: مَثَلُ الْإِيمَانِ كَشَجَرَةٍ أَصْلُهَا الشَّهَادَةُ وَثَمَرُهَا الْوَرَعُ، وَلَا خَيْرَ فِي شَجَرَةٍ لَا ثَمَرَ لَهَا، وَلَا خَيْرَ فِي إِنْسَانٍ لَا وَرَعَ لَهُ.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لَا تَنْظُرُوا إِلَى صَلَاةِ أَحَدٍ وَلَا صِيَامِهِ، وَانْظُرُوا إِلَى صِدْقِ حَدِيثِهِ إِذَا حَدَّثَ، وَإِلَى أَمَانَتِهِ إِذَا اؤْتُمِنَ، وَإِلَى وَرَعِهِ إِذَا أَشْفَى.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْأَلْبَانِيُّ.

قَـالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ الشِّـخِّيرِ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّكَ لَتُلَاقِـي الرَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْثَـرُ صَوْمًـا وَصَلَاةً وَصَدَقَـةً، وَالْآخَرُ أَفْضَلُ مِنْـهُ بُونًا بَعِيدًا. قِيـلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: هُوَ أَشَدُّهُمَا وَرَعًا لِلَّهِ عَنْ مَحَارِمِهِ.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: عَلَيْكَ بِالْوَرَعِ يُخَفِّفِ اللهُ مِنْ حِسَابِكَ، وَدَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيبُكَ، وَادْفَعِ الشَّكَّ بِالْيَقِينِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ.

الْأَسْبَابُ الْمُعِينَةُ عَلَى الْوَرَعِ

١- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْوَرَعَ فِيهِ صِيَانَةُ النَّفْسِ عَنْ مُوَاقَعَةِ الْحَرَامِ، وَالْوِقَايَةُ مِنَ التَّلَبُّسِ بِالشُّبُهَاتِ، وَفِي ذَلِكَ سَلَامَةُ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.

٢- أَنْ يَعْلَـمَ أَنَّ الْـوَرَعَ مِـنْ أَخْـلَاقِ الْأَنْبِيَـاءِ وَالصَّالِحِيـنَ، فَيَحْـرِصَ عَلَى الِاقْتِدَاءِ بِهِمْ.

٣- أَنْ يَحْرِصَ عَلَى الْعِلْمِ الشَّـرْعِيِّ الصَّحِيحِ حَتَّى لَا يَتَوَرَّطَ فِي التَّلَبُّسِ بِوَرَعٍ فَاسِدٍ، وَيَظُنَّ أَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الْوَرِعِينَ.

٤- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْوَرَعَ أَوَّلُ الزُّهْدِ، وَالزُّهْدُ يَبْلُغُ بِهِ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَأَكْرِمْ بِهَا مِنْ مَنْقَبَةٍ!

٥- أَنْ يُرَاقِبَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَسَائِرِ أَخْلَاقِهِ، فَيَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى الْحَيَاءِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، فَلَا يَتَلَبَّسَ بِمَا يَكْرَهُ.

٦- أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشُّبُهَاتِ حَاجِزًا صِيَانَةً لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَبَرَاءَةً لِذِمَّتِهِ.

٧- أَنْ يَتْرُكَ كُلَّ مَا رَابَهُ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى مَا لَا رَيْبَ فِيهِ. عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: عَجِبْتُ مِنْ كَلِمَةِ حَسَّانَ بْنِ أَبِي سِنَانٍ: مَا شَيْءٌ أَهْوَنَ عِنْدِي مِنَ الْوَرَعِ؛ إِذَا رَابَنِي شَيْءٌ تَرَكْتُهُ!

٨- أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ وَيُدَاوِمَ عَلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ أَصْلَحَ خَلَلَهَا وَعَالَجَ فَسَادَهَا.

٩- أَنْ يَحْرِصَ عَلَى تَذْكِيرِ نَفْسِهِ بِضَرُورَةِ التَّخَلُّقِ بِالْوَرَعِ، وَإِحْيَاءِ الشُّعُورِ فِي نَفْسِهِ بِأَهَمِّيَّتِهِ وَذِكْرِ خِصَالِهِ النَّافِعَةِ وَآثَارِهِ الْجَلِيلَةِ.

١٠- أَنْ يَحْرِصَ عَلَى تَحْقِيقِ التَّقْوَى وَالْيَقِينِ فِي نَفْسِهِ؛ فَبِهِمَا تَتَحَقَّقُ سَلَامَةُ النَّفْسِ، وَإِيثَارُ مَا عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

مَوَانِعُ الْوَرَعِ

١. تَرْكُ مُرَاقَبَةِ النَّفْسِ وَمُحَاسَبَتِهَا.

٢. قِلَّةُ الْعِنَايَةِ بِتَحَرِّي الْحَلَالِ فِي الْكَسْبِ وَوُجُوهِ جَمْعِ الْمَالِ.

٣. اتِّبَاعُ الْهَوَى وَشَهَوَاتِ النَّفْسِ.

٤. عَدَمُ التَّرَدُّدِ فِي الْوُلُوجِ فِي الْآثَامِ، وَقِلَّةُ الْمُبَالَاةِ بِعَوَاقِبِهَا.

٥. الْجَهْلُ بِخَيْرِ الْخَيْرَيْنِ وَشَرِّ الشَّرَّيْنِ، فَيَتَوَلَّدُ مَعَهُ الْجَهْلُ بِحَقِيقَةِ الْوَرَعِ

وَكَيْفِيَّةِ تَحْقِيقِهِ.

٦. قِلَّةُ التَّقْوَى وَضَعْفُ الْيَقِينِ؛ فَإِنَّهُمَا يَحْجُزَانِ الْعَبْدَ عَنْ مُوَاقَعَةِ الْحَرَامِ أَوْ مَا فِيهِ شُبْهَةٌ.

٧. التَّأْوِيلَاتُ الْبَاطِلَةُ وَالْمَخَارِجُ الْفَاسِدَةُ.

٨. قِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ.

مِنْ صُوَرِ الْوَرَعِ

١) الْـوَرَعُ فِي النَّظَرِ، قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَا تُتْبِـعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَـإِنَّ لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَـتْ لَكَ الْآخِـرَةُ»(١). وَعَنْ دَاوُدَ الطَّائِـيِّ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ فُضُولَ النَّظَرِ.

٢) الْوَرَعُ فِي السَّـمْعِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَمَنِ اسْـتَمَعَ إِلَـى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُـونَ -أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ- صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْأُنُكُ(٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: كُنْتُ أُسَايِرُ أَبِي وَرَجُلٌ يَقَعُ فِي رَجُلٍ،

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٢) هُوَ الرَّصَاصُ الْمَذَابُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

فَالْتَفَتَ إِلَيَّ أَبِي فَقَالَ: يَا بُنَيَّ نَزِّهْ سَمْعَكَ عَنِ اسْتِمَاعِ الْخَنَا كَمَا تُنَزِّهُ لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ؛ فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكُ الْقَائِلِ، وَلَقَدْ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وِعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وِعَائِكَ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةُ جَاهِلٍ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَادُّهَا كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا.

٣) الْوَرَعُ فِي الشَّمِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَدِمَ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَجِدُ امْرَأَةً حَسَنَةً تَزِنُ لِي هَذَا الطِّيبَ؛ حَتَّى أُفَرِّقَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ! فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ: أَنَا جَيِّدَةُ الْوَزْنِ، فَهَلُمَّ أَزِنُ لَكَ! قَالَ: لَا. قَالَتْ: وَلِمَ؟ قَالَ: إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْخُذِيهِ هَكَذَا -وَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِي صُدْغَيْهِ- وَتَمْسَحِينَ عُنُقَكِ؛ فَأُصِيبَ فَضْلًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ!

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ أُتِيَ بِغَنَائِمَ مِسْكٍ، فَأَخَذَ بِأَنْفِهِ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: تَأْخُذُ بِأَنْفِكَ لِهَذَا! قَالَ: إِنَّمَا يُنْتَفَعُ مِنْ هَذَا بِرِيحِهِ؛ فَأَكْرَهُ أَنْ أَجِدَ رِيحَهُ دُونَ الْمُسْلِمِينَ!

٤) الْوَرَعُ فِي اللِّسَانِ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: أَشَدُّ الْوَرَعِ فِي اللِّسَانِ، وَعَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: إِنَّكَ لَتَعْرِفُ وَرَعَ الرَّجُلِ فِي كَلَامِهِ.

٥) الْوَرَعُ فِي الْبَطْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البَقَرَة:١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»[١].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ»[٢].

٦) الْوَرَعُ فِي الْفُتْيَا، كَانَ الصَّحَابَةُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَتَوَرَّعُونَ أَشَدَّ الْوَرَعِ عَنِ الْفُتْيَا، فَكَانُوا يَدْفَعُونَ الْفُتْيَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا يُقْدِمُونَ عَلَيْهَا.

فَعَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ ثَلَاثَمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، مَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَكْفِيَهُ صَاحِبُهُ الْفُتْيَا.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى: أَدْرَكْتُ مِائَةً وَعِشْرِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يُسْأَلُ أَحَدُهُمُ الْمَسْأَلَةَ، فَيَرُدُّهَا هَذَا إِلَى هَذَا، وَهَذَا إِلَى هَذَا، حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى الْأَوَّلِ، وَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ أَوْ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ كَأَنَّهُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

وَقَالَ أَبُو حُصَيْنٍ عُثْمَانُ بْنُ عَاصِمٍ: إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُفْتِي فِي الْمَسْأَلَةِ، وَلَوْ وَرَدَتْ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرٍ!

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَقُولُ: رُبَّمَا مَكَثْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ أَعْتَقِدَ مِنْهَا شَيْئًا!

٧) الْوَرَعُ عَنِ الْأَكْلِ بِالدِّينِ، قَالَ الْغَزَالِيُّ: كَانَ الْمُتَوَرِّعُونَ يُوَكِّلُونَ فِي الشِّرَاءِ مَنْ لَا يُعْرَفُ أَنَّهُ وَكِيلُهُمْ حَتَّى لَا يَتَسَامَحُوا فِي الْمَبِيعِ خِيفَةً مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَكْلًا بِالدِّينِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَخْطَرٌ، وَالتَّقِيُّ خَفِيٌّ لَا كَالْعِلْمِ وَالنَّسَبِ وَالْفَقْرِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يُجْتَنَبَ الْأَخْذُ بِالدِّينِ مَا أَمْكَنَ.

التَّفَكُّرُ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ التَّفَكُّرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَعَالَى وَآيَاتِهِ الْبَاهِرَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عَظَمَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَدْ سَمَّاهَا اللهُ آيَاتٍ، يَعْنِي: عَلَامَاتٍ وَدَلَالَاتٍ تَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ، وَعَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النَّحل:١٢].

وَقَدْ دَعَا اللهُ عَجَّلَ عِبَادَهُ لِلتَّفَكُّرِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الرُّوم:٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعرَاف:١٨٥].

وَأَقْرَبُ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ، لَوْ تَفَكَّرَ فِيهَا لَرَأَى فِيهَا الْآيَاتِ وَالْعَجَائِبَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذَّاريَات:٢١].

قَالَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: كَثُرَ الْحَثُّ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى عَلَى التَّدَبُّرِ وَالِاعْتِبَارِ وَالنَّظَرِ وَالِافْتِكَارِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْفِكْرَ هُوَ مِفْتَاحُ الْأَنْوَارِ وَمَبْدَأُ الِاسْتِبْصَارِ، وَهُوَ شَبَكَةُ الْعُلُومِ وَمَصِيدَةُ الْمَعَارِفِ وَالْفُهُومِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ قَدْ عَرَفُوا فَضْلَهُ

وَرُتْبَتَهُ وَلَكِنْ جَهِلُوا حَقِيقَتَهُ وَثَمَرَتَهُ وَمَصْدَرَهُ.

مَعْنَى التَّفَكُّرِ

لُغَةً: إِعْمَالُ النَّظَرِ فِي الشَّيْءِ.

وَاصْطِلَاحًا: هُوَ أَنْ يَنْظُرَ فِي الشَّيْءِ عَلَى وَجْهِ الْعِبْرَةِ وَالْعِظَةِ، لِتَقْوِيَةِ جَوَانِبِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَمُقَاوَمَةِ دَوَاعِي الشَّرِّ وَالْفَسَادِ. وَإِشَارَاتِهِ.

وَالتَّفَكُّرُ يَكُونُ بِعَيْنِ الْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةِ.

مِنْ مَجَالَاتِ التَّفَكُّرِ

❁ التَّفَكُّرُ فِي نُصُوصِ الْوَحْيِ وَالْآيَاتِ وَالْأَمْثَالِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النَّحل:٤٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحَشر:٢١].

❁ التَّفَكُّرُ فِي الدُّنْيَا وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يُونس:٢٤].

❁ التَّفَكُّرُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ: وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ آخِرَ اللَّيْلِ فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمران:١٩٠ - ١٩١]، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ثُمَّ اضْطَجَعَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ قِرَاءَتُهَا عِنْدَ الِاسْتِيقَاظِ فِي اللَّيْلِ مَعَ النَّظَرِ إِلَى السَّمَاءِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ التَّدَبُّرِ.

❁ التَّفَكُّرُ فِي نِعَمِ اللهِ تَعَالَى: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النَّحل:١٠ - ١٤].

۞ التَّفَكُّرُ فِي الْعَوَاقِبِ وَأَمْرِ الْآخِرَةِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الرُّوم:٩].

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ»(١).

ثَمَرَاتُ التَّفَكُّرِ

١) مَعْرِفَةُ قُدْرَةِ اللهِ.

٢) زِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ.

٣) الِاجْتِهَادُ فِي الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا.

٤) الْخَوْفُ مِنَ اللهِ وَالِاسْتِشْعَارُ بِعَظَمَتِهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: الْفِكْرَةُ تَذْهَبُ الْغَفْلَةَ، وَتُحْدِثُ لِلْقَلْبِ الْخَشْيَةَ.

٥) مَعْرِفَةُ حَالِ النَّفْسِ وَمُحَاوَلَةُ إِصْلَاحِهَا، قَالَ الْفُضَيْلُ رَحِمَهُ اللهُ: «التَّفَكُّرُ مِرْآةٌ تُرِيكَ حَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِكَ»

٦) الِارْتِقَاءُ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَهَؤُلَاءِ الدُّعَاةُ وَالْمُصْلِحُونَ وَالْمُجَدِّدُونَ فِي

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي

تَارِيخِ الْأُمَّةِ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ أَوَّلَ مَا فَعَلُوهُ هُوَ النَّظَرُ فِي حَالِ الْمُسْلِمِينَ مَاذَا يَنْقُصُهُمْ؟ وَأَيْنَ الْخَلَلُ؟ وَمَا هِيَ الثَّغَرَاتُ؟ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ شَمَّرُوا عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ فِي سَبِيلِ الِارْتِقَاءِ بِحَالِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِعَادَتِهَا إِلَى سَبِيلِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ.

٧) طَرِيقٌ إِلَى الِانْتِفَاعِ بِالْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي سَخَّرَهَا اللهُ لِلْإِنْسَانِ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: (اسْتَعِينُوا عَلَى الْكَلَامِ بِالصَّمْتِ - أَيْ: عَلَى وَزْنِهِ وَجَوْدَتِهِ - وَعَلَى الِاسْتِنْبَاطِ بِالْفِكْرَةِ)[١].

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

المُحَاسَبَةُ

إِنَّ عِلَاجَ اسْتِيلَاءِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ مُحَاسَبَتُهَا وَمُخَالَفَتُهَا، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّ أَهْوَنَ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تُخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ».

وَالنَّفْسُ بِطَبِيعَتِهَا كَثِيرَةُ التَّقَلُّبِ وَالتَّلَوُّنِ، تُؤَثِّرُ فِيهَا الْمُؤَثِّرَاتُ، وَتَعْصِفُ بِهَا الْأَهْوَاءُ وَالْأَمْرَاضُ، فَتَجْنَحُ لَهَا وَتَنْقَادُ إِلَيْهَا، وَالنَّفْسُ بِطَبِيعَتِهَا تَسِيرُ بِالْعَبْدِ إِلَى الشَّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يُوسُف:٥٣]، لَابُدَّ لِلشَّخْصِ الْعَاقِلِ أَنْ يَقُومَ بِتَخْصِيصِ وَقْتٍ يَوْمِيًّا يَقُومُ بِهِ بِالِاخْتِلَاءِ بِنَفْسِهِ لِيُحَاسِبَهَا عَمَّا قَدَّمَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ أَعْمَالٍ أَوْ مِنْ ذُنُوبٍ، فَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ إِهْمَالَ الْإِنْسَانِ لِمُتَابَعَةِ أَعْمَالِهِ وَلِحِسَابِ نَفْسِهِ سَيُؤَدِّي بِهِ إِلَى التَّمَادِي فِي الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَلَعَلَّ قَوْلَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ أَبْرَزِ الدَّلَائِلِ عَلَى ضَرُورَةِ قِيَامِ الْإِنْسَانِ بِمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَمُرَاقَبَتِهَا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾ [القِيَامة:١٤]، فَلَوِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا عَلَى نَفْسِهِ مُحَاسِبًا لَهَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَنَجَا وَاسْتَطَاعَ الْفَوْزَ بِرِضْوَانِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ.

حَقِيقَةُ الْمُحَاسَبَةِ

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: أَنْ يَتَصَفَّحَ الْإِنْسَانُ فِي لَيْلِهِ مَا صَدَرَ مِنْ أَفْعَالِ نَهَارِهِ، فَإِنْ كَانَ مَحْمُودًا أَمْضَاهُ وَأَتْبَعَهُ بِمَا شَاكَلَهُ وَضَاهَاهُ، وَإِنْ كَانَ مَذْمُومًا اسْتَدْرَكَهُ إِنْ أَمْكَنَ وَانْتَهَى عَنْ مِثْلِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ بِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر:١٨ - ١٩].

أَنْوَاعُ الْمُحَاسَبَةِ

١) مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ قَبْلَ الْعَمَلِ: بِالنَّظَرِ لِأَمْرَيْنِ:

- النِّيَّةُ: يَنْظُرُ الْعَبْدُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي سَيَقُومُ بِهِ، إِنْ كَانَ خَالِصًا لِلَّهِ فَعَلَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا أَوْ رِضَا الْبَشَرِ أَعَادَ النَّظَرَ فِيهِ وَصَحَّحَ نِيَّتَهُ، ثُمَّ فَعَلَهُ.

قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ تَثَبَّتَ، فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ أَمْضَاهَا، وَإِنْ كَانَتْ لِغَيْرِهِ تَوَقَّفَ.

- التَّطْبِيقُ: يَنْظُرُ الشَّخْصُ فِي نَوْعِ الْعَمَلِ، إِنْ كَانَ صَالِحًا وَفِيهِ الْخَيْرُ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ سَيِّئًا فِيهِ غَضَبُ اللهِ أَعْرَضَ عَنْهُ. بِهَذِهِ الْمُحَاسَبَةِ يَكُونُ قَدْ أَنْجَى نَفْسَهُ بِعَدَمِ الْوُقُوعِ فِي الْخَطَأِ.

٢) **مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ بَعْدَ الْعَمَلِ**: وَتَكُونُ بِأُمُورٍ:

- مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ عَلَى الْمَعَاصِي الَّتِي فَعَلَهَا وَالسَّيِّئَاتِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا، وَمَا حَمَلَهُ عَلَيْهَا، وَبَعْدَ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ هَذِهِ الْمُحَاسَبَةَ يَنْتَقِلُ إِلَى الثَّمَرَةِ وَالنَّتِيجَةِ أَلَا وَهِيَ الْعَمَلُ عَلَى تَكْفِيرِ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ، فَيَتَدَارَكُ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَبِالِاسْتِغْفَارِ، وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ الْمُذْهِبَةِ لِلسَّيِّئَاتِ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: ١١٤].

- مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ عَلَى التَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَاتِ: كَالِالْتِزَامِ بِالْأَوْرَادِ الْيَوْمِيَّةِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَأَدَاءِ صَلَاةِ السُّنَنِ الرَّوَاتِبِ، وَمُعَاهَدَةِ النَّفْسِ بِالْإِخْلَاصِ وَعَمَلِ الْخَيْرِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمُتَابَعَةِ الْجَوَارِحِ وَأَفْعَالِهَا كَاللِّسَانِ وَالْعَيْنِ وَالْأُذُنِ، وَضَبْطِهَا فِي الْخَيْرِ.

- مُحَاسَبَةٌ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ كَانَ تَرْكُهُ خَيْرًا مِنْ فِعْلِهِ: أَيْ كُلُّ عَمَلٍ يُرَابِ الْعَبْدُ مِنْهُ وَيَشْعُرُ أَنَّ فِيهِ شُبْهَةً، فَهَذَا تَرْكُهُ خَيْرٌ مِنْ فِعْلِهِ وَفِيهِ ضَمَانٌ بِالْبُعْدِ عَمَّا يَغْضَبُ اللهُ تَعَالَى.

- الْمُحَاسَبَةُ عَلَى النِّيَّةِ فِي الْمُبَاحَاتِ: يُحَاسِبُ الْعَبْدُ عَلَى نِيَّتِهِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي اعْتَادَ أَنْ يَفْعَلَهَا، أَفْعَلَهَا مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ اللهِ تَعَالَى، أَمْ لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ يُخْسِرُهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ؟ فَيُحَاوِلُ تَصْحِيحَ نِيَّتِهِ وَغَايَتِهِ.

ثَمَرَاتُ الْمُحَاسَبَةِ

- **النَّجَاةُ وَالْفَلَاحُ**، قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَهُ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَكَانَتِ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هَمِّهِ.

- **تَخْفِيفُ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ لِحِسَابِكُمْ، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ، وَتَجَهَّزُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ.

- **الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْوِقَايَةُ مِنَ النِّفَاقِ وَالْفُسُوقِ**، قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُؤْمِنُ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ لَهُ مَوْقِفًا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى، وَالْمُنَافِقُ يَغْفُلُ عَنْ نَفْسِهِ، فَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا نَظَرَ لِنَفْسِهِ قَبْلَ نُزُولِ مَلَكِ الْمَوْتِ بِهِ.

- **اكْتِشَافُ مَسَاوِئِ النَّفْسِ وَعُيُوبِهَا وَعَدَمُ الِاغْتِرَارِ بِالْعَمَلِ**، قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا دَخَلْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ فَخَرَجْتُ بِهِ فَحَاسَبْتُ نَفْسِي إِلَّا وَجَدْتُ نَصِيبَ الشَّيْطَانِ فِيهِ أَوْفَرَ مِنْ نَصِيبِ اللهِ تَعَالَى.

- **التَّوَاضُعُ لِلَّهِ وَمَعْرِفَةُ قَدْرِ النَّفْسِ**، كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِلذُّنُوبِ رِيحٌ مَا قَدَرَ أَحَدٌ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيَّ!! مَعَ أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ الْعُبَّادِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ.

- **الِاسْتِفَادَةُ مِنَ الْأَوْقَاتِ**، إِنَّ مُحَاسَبَةَ النَّفْسِ تَقْضِي بِالْإِنْسَانِ إِلَى أَنْ يَسْتَغِلَّ أَوْقَاتَهُ أَفْضَلَ اسْتِغْلَالٍ، قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

الْمَقْدِسِيُّ كَانَ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى الْأَنْفَاسِ، لَا يَدَعُ وَقْتًا يَمْضِي عَلَيْهِ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ، إِمَّا يَنْسَخُ أَوْ يَدْرُسُ أَوْ يَقْرَأُ.

وَسَائِلُ تُعِينُ عَلَى الْمُحَاسَبَةِ

- الْيَقِينُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البَقَرَة:٢٣٥] أَيْ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ.

- الِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ وَدُعَاؤُهُ.

- الْإِكْثَارُ مِنَ الذِّكْرِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَالطَّاعَاتِ.

- إِدْرَاكُ ثَمَرَاتِ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

- التَّفْكِيرُ فِي الْعَاقِبَةِ السَّيِّئَةِ فِي حَالِ الْغَفْلَةِ.

- مُصَاحَبَةُ الْأَخْيَارِ الَّذِينَ يَحْرِصُونَ عَلَى مُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ لِيَكُونُوا حَافِزًا فِي ذَلِكَ.

- تَرْكُ رُفَقَاءِ السُّوءِ.

- الِاطِّلَاعُ عَلَى أَهْلِ الْمُحَاسَبَةِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

مَوَانِعُ الْمُحَاسَبَةِ

❁ **الْمَعَاصِي**، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِفِعْلِ الْكَبَائِرِ أَوْ بِالْإِصْرَارِ عَلَى صَغَائِرَ، حَيْثُ أَنَّ هَذِهِ الْمَعَاصِيَ تُسَبِّبُ الرَّانَ عَلَى الْقَلْبِ، فَإِذَا لَمْ يُحَاسِبِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ

وَيَتُبْ تَرَاكَمَ هَذَا الرَّانُ عَلَى قَلْبِهِ، وَبِقَدْرِ تَرَاكُمِ هَذَا الرَّانِ تَقِلُّ مُحَاسَبَتُهُ لِنَفْسِهِ حَتَّى يُصْبِحَ قَلْبُهُ لَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا وَلَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا.

❁ **التَّوَسُّعُ فِي الْمُبَاحَاتِ**، لِأَنَّ هَذَا التَّوَسُّعَ يُرَغِّبُهُ فِي الدُّنْيَا وَيُقَلِّلُ تَفْكِيرَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِذَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَى آخِرَتِهِ، أَوْ قَلَّ نَظَرُهُ إِلَيْهَا قَلَّتْ مُحَاسَبَتُهُ لِنَفْسِهِ.

❁ **عَدَمُ اسْتِشْعَارِ عَظَمَةِ اللهِ وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ**؛ فَلَوِ اسْتَشْعَرْنَا ذَلِكَ وَعَرَفْنَا اللهَ حَقَّهُ لَأَكْثَرْنَا مِنْ مُحَاسَبَتِنَا لِأَنْفُسِنَا.

❁ **تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهَا**، لِأَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ يَمْنَعُ مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَى عُيُوبِهَا، وَإِذَا لَمْ تُكْتَشَفِ الدَّاءُ كَيْفَ سَتُعَالِجُهُ.

❁ **عَدَمُ تَذَكُّرِ الْآخِرَةِ وَالِانْشِغَالُ بِالدُّنْيَا**، وَلَوْ وَضَعْنَا الْآخِرَةَ نُصْبَ أَعْيُنِنَا لَمَا أَهْمَلْنَا مُحَاسَبَةَ أَنْفُسِنَا.

التَّوَكُّلُ

التَّـوَكُّلُ مَقَامٌ عَظِيمٌ مِنْ مَقَامَـاتِ العُبُودِيَّةِ، فَمَا أَحْوَجَ النَّاسَ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ التَّقَدُّمِ المَادِّيِّ المَلْمُوسِ، وَسَـيْطَرَةِ ضَغُوطِ الحَيَاةِ عَلَى الكَثِيرِ، وَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ ضَوَابِطِ وَحُدُودِ التَّوَكُّلِ، وَمَا أَحْوَجَ الدُّعَاةَ إِلَى اللهِ تَعَالَى إِلَى التَّعَبُّدِ بِهَـذِهِ العُبُودِيَّةِ وَلُزُومِهَا فِي مَسِـيرَتِهِمُ المُبَارَكَةِ فِي إِخْـرَاجِ النَّاسِ مِنْ ظُلُمَاتِ الجَهْلِ إِلَى نُورِ العِلْمِ.

فَلَوْ أَنَّ العَبْدَ حَقَّقَ التَّقْوَى وَالتَّوَكُّلَ، وَأَخَذَ بِالأَسْـبَابِ فِي كُلِّ شَـأْنِهِ، فَإِنَّ أُمُورَ حَيَاتِهِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَتَحَقَّقُ بِسُهُولَةٍ وَتَيْسِيرٍ لَهُ، فَكَمْ مِنْ عَبْدٍ فَوَّضَ أَمْرَهُ لِلَّهِ كَفَاهُ اللهُ مَـا أَهَمَّهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطَّلَاق:٢ - ٣].

وَالتَّـوَكُّلُ عَلَى اللهِ دَلِيـلُ صِحَّةِ إِيمَانِ العَبْـدِ وَصَلَاحِ قَلْبِـهِ، وَهُوَ اعْتِرَافُ العَبْـدِ بِرُبُوبِيَّـةِ اللهِ، وَتَسْـلِيمُهُ كُلَّ أُمُـورِهِ لِلْخَالِـقِ الوَاحِدِ، المُتَصَـرِّفِ بِجَمِيعِ أُمُورِهِ، وَالمُدَبِّرِ الوَحِيدِ لِأَحْوَالِهِ، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا.

تَعْرِيفُ التَّوَكُّلِ

لُغَةً: هُوَ الاعْتِمَادُ وَالتَّفْوِيضُ، وَتَوْكِيلُ الأَمْرِ إِلَى الشَّـخْصِ أَيْ تَفْوِيضُهُ بِهِ وَالاعْتِمَادُ عَلَيْهِ فِيهِ.

وَاصْطِلَاحًا: هُوَ صِدْقُ اعْتِمَادِ العَبْدِ عَلَى اللهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَعَ فِعْلِ الأَسْبَابِ المَأْذُونِ فِيهَا.

وَسُئِلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ التَّوَكُّلِ فَقَالَ: هُوَ قَطْعُ الاسْتِشْرَافِ بِالإِيَاسِ مِنَ الخَلْقِ.

أَهَمِيَّةُ التَّوَكُّلِ

التَّوَكُّلُ شَرْطُ الإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المَائدة:٢٣].

إِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ تَعَالَى سَبِيلٌ لِلْعِزَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنْ كَافَّةِ المَصَائِبِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ حِينَ أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فِي النَّارِ، حَيْثُ رَدَّدَ قَوْلَ: «حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ»، حَتَّى أَصْبَحَتِ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ.

إِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ يَحْصِدُ المُسْلِمُ مِنْ خِلَالِهِ الخَيْرَ الكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ يُشْعِرُ صَاحِبَهُ بِالأَمَانِ وَالتَّحَصُّنِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَخَافُهُ.

التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى سَبَبٌ رَئِيسٌ لِلِاسْتِعَانَةِ بِهِ فِي كَافَّةِ الأُمُورِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ فِعْلُ الرَّسُولِ عليه السلام يَوْمَ أُحُدٍ.

التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى سَبَبٌ لِحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، وَرَفْعِ الخَوْفِ وَالظُّلْمِ وَرَدِّ

كَيْدِ العَدُوِّ عَلَى نَفْسِهِ.

مَـنْ وَكَّلَ أُمُورَهُ إِلَى اللهِ، وَرَضِيَ بِمَا يَقْضِيهِ لَهُ وَيَخْتَارُهُ، فَقَدْ حَقَّقَ التَّوَكُّلَ عَلَيْـهِ، وَأَمَّا مَنْ وَكَّلَ أُمُورَهُ لِغَيْرِ اللهِ، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ، فَهُوَ مَخْذُولٌ غَافِلٌ عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، عَـنِ ابْنِ مَسْـعُودٍ قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَـةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ. وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالْغِنَى إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنًى آجِلٍ»(١).

كَيْفِيَّةُ تَحْقِيقِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ

يَتَحَقَّقُ التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ بِأُمُورٍ:

١) التَّصْدِيـقُ بِالقَضَـاءِ وَالقَدَرِ: عِنْدَمَا يُؤْمِنُ العَبْدُ بِقَضَـاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ فِي الخَيْرِ وَالشَّـرِّ؛ فَإِنَّهُ حَتْمًا سَـيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى حَقَّ التَّـوَكُّلِ، وَيَطْمَئِنُّ عَلَى مَا سَيُوَاجِهُهُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى الإِيمَانِ بِمَا كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى بِاللَّوْحِ المَحْفُـوظِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ المُتَصَرِّفُ فِي الكَوْنِ، فَلَا يَحْدُثُ أَمْرًا دُونَ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ.

٢) الإِدْرَاكُ بِـأَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ: وَضَّحَتِ الشَّـرِيعَةُ الإِسْـلَامِيَّةُ بِكَافَّةِ أَدِلَّتِهَا بِأَنَّ الأُمُـورَ كُلَّهَـا تُفَوَّضُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَبِيَدِهِ تُسَـيَّرُ الأُمُـورُ؛ حَيْثُ لَنْ يَحْصُلَ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

الشَّـرُّ وَالخَيْرُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَشِـيئَتِهِ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ بَاتَ مُطْمَئِنًّا وَمُؤْمِنًا بِاللهِ وَرَسُـولِهِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُـهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هُود:١٢٣].

٣) الأَخْـذُ بِالأَسْـبَابِ: إِنَّ التَّـوَكُّلَ عَلَى اللهِ تَعَالَـى لَا يَقْتَصِرُ عَلَـى القَلْبِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى الجَوَارِحِ أَيْضًا مِنْ خِلَالِ السَّـعْيِ، وَإِلَّا يَتَحَوَّلُ مَفْهُومُ التَّـوَكُّلِ إِلَى التَّـوَاكُلِ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَـى اللهِ تَعَالَى يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُقْتَرِنًا بِالأَخْذِ بِالأَسْبَابِ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِالأَخْذِ بِالأَسْـبَابِ فَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [المُلك:١٥].

وَكَذَلِكَ رَسُـولُهُ ﷺ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُـولَ اللهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»(١).

أَصْنَافُ النَّاسِ فِي التَّوَكُّلِ

وَأَصْنَافُ النَّاسِ فِي بَابِ التَّوَكُّلِ ثَلَاثَةٌ:

الصِّنْفُ الأَوَّلُ: المُعْرِضُونَ عَنِ الأَسْبَابِ بِالكُلِّيَّةِ: وَهُمْ صِنْفٌ اعْتَمَدَ عَلَى

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

اللهِ بِقَلْبِهِ وَتَرَكَ العَمَلَ بِالأَسْبَابِ، وَلَمْ يَبْذُلْ جُهْدًا فِي التَّحْصِيلِ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ التَّوَاكُلِ وَالَّذِي هُوَ مَسْلَكٌ مَذْمُومٌ وَبَيْنَ التَّوَكُّلِ، وَهَذَا مَنْهَجُ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ تَرَكُوا التَّكَسُّبَ وَالعَمَلَ وَالتَّزَوُّدَ، وَيَرَوْنَ ذَلِكَ مُنَافِيًا لِلتَّوَكُّلِ، وَهَذَا النَّهْجُ مَذْمُومٌ عِنْدَ السَّلَفِ.

الصِّنْفُ الثَّانِي: المُعْتَمِدُونَ عَلَى الأَسْبَابِ بِالكُلِّيَّةِ المُبَالِغُونَ فِيهَا: لَمْ يَعْتَمِدُوا عَلَى اللهِ، فَتَوَجَّهَتْ قُلُوبُهُمْ وَجَوَارِحُهُمْ إِلَى الأَسْبَابِ مِنْ غَيْرِ النَّظَرِ إِلَى مُسَبِّبِهَا، وَجَعَلُوهَا مُؤَثِّرَةً وَمُسْتَقِلَّةً فِي جَلْبِ الخَيْرِ وَدَفْعِ الشَّرِّ، وَهَذَا مَسْلَكٌ مَذْمُومٌ، لِأَنَّهُ مَسْلَكُ المَادِّيِّينَ وَالعَقْلَانِيِّينَ، وَهَذَا بَاطِلٌ مُخَالِفٌ لِلشَّرْعِ.

الصِّنْفُ الثَّالِثُ: الجَامِعُونَ بَيْنَ الاعْتِمَادِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَاطِي الأَسْبَابِ الَّتِي أَذِنَ اللهُ بِهَا: حَيْثُ تَقُومُ الجَوَارِحُ بِالأَسْبَابِ وَالقَلْبُ مُعْتَمِدٌ عَلَى مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، وَهَذَا هُوَ المُوَافِقُ لِلشَّرْعِ، وَصَرِيحُ العَقْلِ، وَمُقْتَضَى الفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، فَأَثْبَتَ لِلأَسْبَابِ تَأْثِيرًا فِي مُسَبَّبَاتِهَا لَكِنْ لَا بِذَاتِهَا، لِأَنَّ المُؤَثِّرَ حَقِيقَةً وَالمُسْتَقِلَّ بِالنَّفْعِ وَالضُّرِّ هُوَ اللهُ.

ثَمَرَاتُ التَّوَكُّلِ

إِنَّ التَّوَكُّلَ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، ثِمَارُهَا يَانِعَةٌ، وَخَيْرَاتُهَا كَثِيرَةٌ:

۞ الفَوْزُ بِمَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمران:١٥٩].

۞ التَّوَكُّلُ سَبَبٌ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العَنكبُوت:٥٨ - ٥٩].

۞ يُـورِثُ النَّصْرَ وَالتَّمْكِينَ، وَالقُـوَّةَ الرُّوحِيَّةَ، وَقُوَّةَ القَلْبِ وَشَـجَاعَتَهُ، وَيَرُدُّ كَيْـدَ الأَعْـدَاءِ، قَـالَ تَعَالَـى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عِمران:١٧٤].

۞ الثَّبَـاتُ عَلَـى الحَـقِّ، قَـالَ تَعَالَـى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النَّمل:٧٩].

۞ تَحْقِيـقُ الإِيمَـانِ، قَـالَ تَعَالَـى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة:٢٣].

۞ كِفَايَـةُ اللهِ المُتَوَكِّلَ فِي جَمِيعِ شُـؤُونِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ﴾ [الطَّلَاق:٣].

۞ التَّوَكُّلُ سَـبَبٌ فِي جَلْبِ الرِّزْقِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُـولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُـونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِـهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(١).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيّ.

۞ يُقَوِّي العَزِيمَةَ وَالثَّبَاتَ عَلَى الأَمْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عِمران:١٥٩].

۞ يَقِي مِنْ تَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النَّحل:٩٩].

۞ يَدْفَعُ السِّحْرَ وَالعَيْنَ وَالحَسَدَ، قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ يَعْقُوبَ عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يُوسُف:٦٧].

المُرَاقَبَة

مُرَاقَبَةُ اللهِ ﷻ عِبَادَةٌ جَلِيلَةُ القَدْرِ تَحْمِلُ صَاحِبَهَا لِأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الإِحْسَانِ، وَلَا يَكُونُ العَبْدُ مُرَاقِبًا لِلهِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُسْتَشْعِرًا لِعَظَمَتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيَجِبُ عَلَى العَبْدِ أَنْ يُرَاقِبَ اللهَ ﷻ، المُطَّلِعَ عَلَى الضَّمَائِرِ، العَالِمَ بِالسَّرَائِرِ، الرَّقِيبَ عَلَى أَعْمَالِ العِبَادِ، القَائِمَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ.

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللهُ: أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ مُرَاقَبَةُ الحَقِّ عَلَى دَوَامِ الأَوْقَاتِ.

مَعْنَى المُرَاقَبَةِ

دَوَامُ عِلْمِكَ بِأَنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِكَ.

قَالَ ابْنُ المُبَارَكِ لِرَجُلٍ: رَاقِبِ اللهَ تَعَالَى، فَسَأَلَهُ عَنْ تَفْسِيرِهَا فَقَالَ: كُنْ أَبَدًا كَأَنَّكَ تَرَى اللهَ ﷻ.

وَسُئِلَ الحَارِثُ المُحَاسِبِيُّ عَنِ المُرَاقَبَةِ فَقَالَ: عِلْمُ القَلْبِ بِقُرْبِ اللهِ تَعَالَى.

الوَسَائِلُ المُعِينَةُ عَلَى مُرَاقَبَةِ اللهِ

- التَّعَرُّفُ عَلَى اللهِ، الإِيمَانُ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى: الرَّقِيبِ، وَالحَفِيظِ، وَالعَلِيمِ، وَالسَّمِيعِ، وَالبَصِيرِ، وَالتَّعَبُّدُ لِلهِ تَعَالَى بِمُقْتَضَاهَا يُورِثُ مُرَاقَبَةَ اللهِ تَعَالَى.

فَالرَّقِيبُ الَّذِي يَرْصُدُ أَعْمَالَ عِبَادِهِ، وَالحَفِيظُ الَّذِي يَحْفَظُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ، وَيُحْصِي أَعْمَالَ العِبَادِ، وَالعَلِيمُ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ، وَالسَّمِيعُ المُدْرِكُ لِلأَصْوَاتِ، وَالبَصِيرُ الَّذِي يَرَى كُلَّ شَيْءٍ.

قَالَ القَحْطَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ ... وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
فَاسْتَحْ مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ وَقُلْ لَهَا ... إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

وَقَالَ أَبُو العَتَّاهِيَةِ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يُغْفِلُ مَا مَضَى ... وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

❁ العِلْمُ بِشَهَادَةِ الجَوَارِحِ فِي الآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [فُصِّلَت:٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس:٦٥].

❁ العِلْمُ بِشَهَادَةِ الأَرْضِ بِمَا عُمِلَ فَوْقَهَا مِنَ المَعَاصِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ [الزَّلْزَلَة:٤].

❁ كَثْرَةُ العِبَادَةِ، فَكُلَّمَا أَكْثَرَ الإِنْسَانُ مِنَ الطَّاعَاتِ عَسُرَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ

المُحَرَّمَاتِ.

ثَمَرَاتُ المُرَاقَبَةِ

❁ زِيَادَةُ الإِيمَانِ.

❁ البُعْدُ عَنِ المَعَاصِي، وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَرْبَابُ الطَّرِيقِ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مُرَاقَبَةَ اللهِ تَعَالَى فِي الخَوَاطِرِ سَبَبٌ لِحِفْظِهِ فِي حَرَكَاتِ الظَّوَاهِرِ، فَمَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي سِرِّهِ حَفِظَهُ اللهُ فِي حَرَكَاتِهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ.

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَتَى يَهِشُ الرَّاعِي غَنَمَهُ بِعَصَاهُ عَنْ مَرَاتِعِ الهَلَكَةِ؟ فَقَالَ: إِذَا عَلِمَ أَنَّ عَلَيْهِ رَقِيبًا.

❁ تَحْقِيقُ مَرْتَبَةِ الإِحْسَانِ، وَهِيَ الَّتِي عَرَّفَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». فَالمَرْتَبَةُ الأُولَى عِبَادَةُ شَوْقٍ وَطَلَبٍ، فَإِنْ تَعَذَّرَ عَبَدْتَ عِبَادَةَ خَوْفٍ وَهَرَبٍ.

قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ رَاقَبَ اللهَ أَحْسَنَ عَمَلَهُ.

❁ تَحْقِيقُ الإِخْلَاصِ، قَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا وَقَفَ عِنْدَ هَمِّهِ، فَإِنْ كَانَ لِلهِ مَضَى، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهِ تَأَخَّرَ.

❁ الطُّهْرُ وَالعَفَافُ، فَفِي حَدِيثِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ سُدَّتِ الصَّخْرَةُ عَلَيْهِمْ مَدْخَلَ الكَهْفِ وَتَوَسَّلُوا إِلَى اللهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، قَالَ أَحَدُهُمْ: «اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي

بِنْتُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَلَقِيتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَاللهِ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحِ الخَاتَمَ، فَقُمْتُ عَنْهَا. اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا، فَفَرَجَ لَهُمْ فُرْجَةً».

❁ دُخُولُ الجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [المُلك:١٢]. وَهُمْ مَنْ إِذَا خَلَوْا لَمْ يَأْتُوا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ.

ذَمُّ التَّخَلِّي عَنِ المُرَاقَبَةِ

عَدَمُ المُرَاقَبَةِ مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾ [النِّسَاء:١٠٧]. وَالمَعْنَى: يَسْتَتِرُونَ مِنَ النَّاسِ خَوْفًا مِنَ اطِّلَاعِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمِ السَّيِّئَةِ، وَلَا يَسْتَتِرُونَ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنْهُ، وَهُوَ ﷻ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ حِينَ يُدَبِّرُونَ -لَيْلًا- مَا لَا يَرْضَى مِنَ القَوْلِ، وَكَانَ اللهُ تَعَالَى مُحِيطًا بِجَمِيعِ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ.

وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَنْ دَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى مَعْصِيَةٍ جَاهَرَ بِهَا! كَيْفَ ذَلِكَ وَنَبِيُّنَا ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ».

وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَهُوا عَنْ حُدُودِ اللهِ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ القَاذُورَاتِ شَيْئًا، فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِي لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ ﷻ».

❖ تَعْرِيضُ الحَسَنَاتِ لِلضَّيَاعِ، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا».

الرِّضَا

الرِّضَـا مَقَامٌ عَظِيمٌ مِنْ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِيـنِ، وَالتَّخَلُّقُ بِهِ لَا يَتَأَتَّى إِلَّا بَعْدَ طُولِ عِبَادَةٍ وَذِكْرٍ، وَفَهْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَفِكْرٍ.

وَبِالْحُصُـولِ عَلَيْهِ، وَالتَّمَكُّنِ مِنْهُ يَتَخَطَّى الْمُؤْمِنُ فِي إِيمَانِهِ بِالْأَقْدَارِ أَعْظَمَ اخْتِبَارٍ فِي الْحَيَاةِ، وَتَصْبِحُ الْآلَامُ وَالشَّدَائِدُ عِنْدَهُ لَذَائِذَ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَامَلُ مَعَ الْأَقْدَارِ الْإِلَهِيَّةِ بِلُغَةِ الْحُبِّ وَالرِّضَا، لَا بِلُغَةِ الِاخْتِبَارِ وَالتَّحَدِّي.

وَلْيَعْلَمْ يَقِينًا بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مَا ابْتَلَاهُ إِلَّا لِيَرْقِيَهُ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ؛ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البَقَرَة:٢١٦].

وَهِـيَ صِفَةٌ تَجْلِـبُ لِلْمُؤْمِـنِ الْهُـدُوءَ وَالتَّوَازُنَ النَّفْسِـيَّ، وَالْقُـدْرَةَ عَلَى مُكَابَدَةِ الْحَيَاةِ وَالْعَيْشِ فِيهَا بِأَحْسَنِ مَا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ، فَيَكُونُ فَعَّالًا نَتِيجَةً لِتَوَازُنِهِ الدَّاخِلِيِّ وَتَسْلِيمِهِ لِمَجْرَيَاتِ الْقَدَرِ، مَعَ احْتِفَاظِهِ بِعَزِيمَتِهِ وَإِصْرَارِهِ وَهِمَّتِهِ.

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَـى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّضَا فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرْضَى وَإِلَّا فَاصْبِرْ.

وَقَدْ أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَـاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ

يَعْمَلُ بِهِنَّ؟» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»(١).

تَعْرِيفُ الرِّضَا

لُغَةً: ضِدُّ السُّخْطِ، وَالرِّضَا بِالشَّيْءِ الرُّكُونُ إِلَيْهِ وَعَدَمُ النُّفْرَةِ مِنْهُ.

وَاصْطِلَاحًا: هُوَ طِيبُ النَّفْسِ بِمَا يُصِيبُهُ وَيَفُوتُهُ مَعَ عَدَمِ التَّغَيُّرِ.

الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالرِّضَا

تَقَدَّمَ مَعَنَا تَعْرِيفُ الصَّبْرِ بِأَنَّهُ: الصَّبْرُ: حَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى إِلَى غَيْرِ اللهِ، وَالْقَلْبِ عَنِ التَّسَخُّطِ، وَالْجَوَارِحِ عَنِ اللَّطْمِ وَشَقِّ الثِّيَابِ وَنَحْوِهَا.

وَأَمَّا الرِّضَا هُوَ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ بِالْقَضَاءِ، فَهُوَ صَبْرٌ وَزِيَادَةٌ، فَالرَّاضِي صَابِرٌ، وَمَعَ هَذَا الصَّبْرِ فَهُوَ رَاضٍ بِقَضَاءِ اللهِ، لَا يَتَأَلَّمُ بِهِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُوصِيًا أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَائِلًا لَهُ: (إِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّضَا، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرْضَى وَإِلَّا فَاصْبِرْ).

وَالْإِنْسَانُ عِنْدَ حُلُولِ الْمُصِيبَةِ لَهُ أَرْبَعُ حَالَاتٍ: إِمَّا التَّسَخُّطُ، أَوِ الصَّبْرُ،

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

أَوِ الرِّضَا، أَوِ الشُّكْرُ - وَهُوَ أَعْلَى مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ»(١).

أَنْوَاعُ الرِّضَا

١) **الرِّضَا الْوَاجِبُ**، وَهُوَ الرِّضَا بِفِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ وَتَرْكِ مَا نُهِيَ عَنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩].

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»(١).

٢) **الرِّضَا الْمُسْتَحَبُّ**، وَهُوَ الرِّضَا بِالْمَصَائِبِ كَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ وَالذُّلِّ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللهَ ﷻ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(٢).

٣) **الرِّضَا الْمَحْرُومُ**، وَهُوَ الرِّضَا بِالْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ فَالَّذِي عَلَيْهِ أَئِمَّةُ الدِّينِ أَنَّهُ لَا لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ، لِأَنَّ اللهَ لَا يَرْضَاهُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزُّمَر:٧].

---

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

اجْتِمَاعُ الرِّضَا مَعَ الْأَلَمِ

التَّأَلُّمُ مِنْ قَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ لَا يُعَارِضُ وَلَا يُنَافِي الرِّضَا، فَالْمَرِيضُ الشَّارِبُ لِلدَّوَاءِ الْكَرِيهِ مُتَأَلِّمٌ بِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ رَاضٍ بِهِ، وَمِثْلُهُ الصَّائِمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ يَحْصُلُ لَهُ التَّأَلُّمُ لَكِنَّهُ رَاضٍ بِهِ، وَكَذَلِكَ تَجِدُ الْبَخِيلَ مُتَأَلِّمٌ مِنْ إِخْرَاجِ زَكَاةِ مَالِهِ رَاضٍ بِهَا، فَالتَّأَلُّمُ كَمَا لَا يُنَافِي الصَّبْرَ، لَا يُنَافِي الرِّضَا بِهِ.

ثَمَرَاتُ الرِّضَا

۞ الرِّضَا يُثْمِرُ مَحَبَّةَ اللهِ تَعَالَى وَرِضْوَانَهُ وَتَجَنُّبَ سَخَطِهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[1].

۞ الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ! مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا؛ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

۞ مَغْفِـرَةُ الذُّنُوبِ، كَمَا جَـاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَالَ - حِينَ يَسْـمَعُ الْمُؤَذِّنَ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»(١).

۞ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ ظَنِّ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ.

۞ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ، وَحُسْنِ الْإِسْلَامِ.

۞ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ صَلَاحِ الْعَبْدِ وَتَقْوَاهُ، وَكَمَالِ عَقْلِهِ، قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: مَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْقَضَاءِ فَلَيْسَ لِحُمْقِهِ دَوَاءٌ.

۞ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ، قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: الرِّضَا بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَاحُ الْعَابِدِينَ.

۞ الْفَـرَحُ وَالسُّـرُورُ بِالـرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِذَا صَبَغَ الْمُسْـلِمُ حَيَاتَـهُ بِرِضَاهُ عَنْ مَـوْلَاهُ، وَرَضِيَ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا عَنْهُ عَاشَ عِيشَـةً هَنِيَّةً فِـي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ: «مَا بَقِيَ لِي سُرُورٌ إِلَّا فِي مَوَاقِعِ الْقَدَرِ» فَقِيلَ لَهُ: مَا تَشْتَهِي؟ فَقَالَ: مَا يَقْضِي اللهُ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

خَاتِمَةٌ

وَبِهَـذَا تَـمَّ الْمَقْصُـودُ، سُـبْحَانَكَ اللهُ وَبِحَمْدِكَ أَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ.

كَانَ الْفَرَاغُ مِنْهُ فِي فَجْرِ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ ٦/ ١/ ١٤٤٧هـ- ١/ ٧/ ٢٠٢٥م.

المحتويات

اَلْمُقَدَّمَةُ ٥

أَهَمِّيَّةُ العِنَايَةِ بِصَلَاحِ القَلْبِ ٩

- أَنْوَاعُ العِبَادَاتِ ١٠

الْإِخْلَاصُ ١٣

- تَعْرِيفُ الْإِخْلَاصِ ١٤
- مَنْزِلَةُ الْإِخْلَاصِ وَأَهَمِّيَّتُهُ ١٥
- مِنْ عَلَامَاتِ الْإِخْلَاصِ ١٦
- مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِخْلَاصِ ١٨
- مِنْ عَوَاقِبِ تَرْكِ الْإِخْلَاصِ ١٩

التَّقْوَى ٢١

- تَعْرِيفُ التَّقْوَى ٢٢
- مَنْزِلَةُ التَّقْوَى وَأَهَمِّيَّتُهَا ٢٢
- مَرَاتِبُ التَّقْوَى ٢٤
- وَسَائِلُ تَحْصِيلِ التَّقْوَى ٢٤
- الْأَسْبَابُ الْبَاعِثَةُ عَلَى التَّقْوَى ٢٦
- ثَمَرَاتُ التَّقْوَى ٢٧
- صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ ٣٠

الخَوْفُ ٣١

- مَنْزِلَةُ الْخَوْفِ وَأَهَمِّيَّتُهُ ٣٢
- أَقْسَامُ النَّاسِ فِي الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ: ٣٣

- أَنْوَاعُ الْخَوْفِ ٣٤
- ثَمَرَاتُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّه ٣٥
- الْأَسْبَابُ الْجَالِبَةُ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّه ٣٧
- تَعْرِيفُ الرَّجَاءِ..... ٣٩

الرَّجَاءُ..... ٣٩

- الفَرْقُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي..... ٤٠
- أَسْبَابُ تَحْقِيقِ الرَّجَاءِ ٤١
- ثَمَرَاتُ الرَّجَاءِ ٤١
- العَلَاقَةُ بَيْنَ الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ..... ٤٢
- تَعْرِيفُ المَحَبَّةِ ٤٣

المَحَبَّةُ..... ٤٣

- الأَسْبَابُ الجَالِبَةُ لِمَحَبَّةِ اللهِ لِلعَبْدِ وَمَحَبَّةِ العَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى: ٤٤
- ثَمَرَاتُ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى ٤٧
- عَلَامَاتُ مَحَبَّةِ اللهِ لِلعَبْدِ..... ٤٨

الصَّبْرُ..... ٥١

- تَعْرِيفُ الصَّبْرِ..... ٥٢
- حُكْمُ الصَّبْرِ..... ٥٤
- مَنْزِلَةُ الصَّبْرِ..... ٥٥
- فَضْلُ الصَّبْرِ وَالصَّابِرِينَ..... ٥٦
- الأَسْبَابُ المُعِينَةُ عَلَى الصَّبْرِ..... ٥٧
- ثَمَرَاتُ الصَّبْرِ ٥٨

الشُّكْرُ..... ٦١

- تَعْرِيفُ الشُّكْرِ ٦٢
- الفَرْقُ بَيْنَ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ ٦٣
- حُكْمُ الشُّكْرِ ٦٣
- الأَسْبَابُ المُعِينَةُ عَلَى الشُّكْرِ ٦٤
- ثَمَرَاتُ الشُّكْرِ ٦٥
- تَعْرِيفُ الْوَرَعِ ٦٧

الوَرَعُ ٦٧

- مَرَاتِبُ الْوَرَعِ ٦٨
- أَهَمِّيَّةُ الْوَرَعِ ٦٨
- الْأَسْبَابُ الْمُعِينَةُ عَلَى الْوَرَعِ ٧٠
- مَوَانِعُ الْوَرَعِ ٧١
- مِنْ صُوَرِ الْوَرَعِ ٧٢

التَّفَكُّرُ ٧٧

- مَعْنَى التَّفَكُّرِ ٧٨
- مِنْ مَجَالَاتِ التَّفَكُّرِ ٧٨
- ثَمَرَاتُ التَّفَكُّرِ ٨٠

المُحَاسَبَةُ ٨٣

- حَقِيقَةُ الْمُحَاسَبَةِ ٨٤
- أَنْوَاعُ الْمُحَاسَبَةِ ٨٤
- ثَمَرَاتُ الْمُحَاسَبَةِ ٨٦
- وَسَائِلُ تُعِينُ عَلَى الْمُحَاسَبَةِ ٨٧
- مَوَانِعُ الْمُحَاسَبَةِ ٨٧

التَّوَكُّلُ ٨٩
- تَعْرِيفُ التَّوَكُّلِ ٨٩
- أَهَمِيَّةُ التَّوَكُّلِ ٩٠
- كَيْفِيَّةُ تَحْقِيقِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ ٩١
- أَصْنَافُ النَّاسِ فِي التَّوَكُّلِ ٩٢
- ثَمَرَاتُ التَّوَكُّلِ ٩٣
- مَعْنَى المُرَاقَبَةِ ٩٧
- الوَسَائِلُ المُعِينَةُ عَلَى مُرَاقَبَةِ اللهِ ٩٧
المُرَاقَبَةُ ٩٧
- ثَمَرَاتُ المُرَاقَبَةِ ٩٩
- ذَمُّ التَّخَلِّي عَنِ المُرَاقَبَةِ ١٠٠
الرِّضَا ١٠٣
- تَعْرِيفُ الرِّضَا ١٠٤
- الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالرِّضَا ١٠٤
- أَنْوَاعُ الرِّضَا ١٠٥
- اجْتِمَاعُ الرِّضَا مَعَ الْأَلَمِ ١٠٦
- ثَمَرَاتُ الرِّضَا ١٠٦
خاتمة ١٠٩

لله الحمد

نبذة عن معهد ابن عباس العلمي

علمٌ وتأصيل... أثرٌ واستدامة.

معهد ابن عباس العلمي ، معهد شرعي رسمي ، يُعنى بصناعة الداعية المتكامل: المؤصّل علميًا ، القوي إيمانيًا ، المعتدل منهجيًا ، الماهر دعويًا ، وفق منهج أهل السنة والجماعة ، من خلال برامج علمية وتربوية ومهارية متوازنة.

تشمل برامجه الرئيسة:

- قسم إعداد الدعاة: تأصيل علمي شرعي على أيدي مشايخ مؤهّلين.

- الحلقات النموذجية: لحفظ القرآن الكريم كاملاً في سنة إلى ثلاث سنوات بإتقان.

- قسم الإقراء والإجازة بالسند: في رواية حفص ، القراءات السبع والثلاث المتمّمة للعشر.

- قسم تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

- برنامج حفظ المتون العلمية في مختلف الفنون.

إلى جانب برامج إيمانية ، تربوية ، مهارية ، في بيئة تعليمية متكاملة تشمل السكن ، التغذية ، والرعاية الشاملة.

وقد تخرّج - بفضل اللّه - أكثر من ألف حافظ ، داعية ، ومجاز ، أسهموا في نشر العلم والدعوة في مختلف محافظات اليمن ، وعدد من دول العالم ، في صورة من الأثر المستدام والرسالة المتجددة.